الفصل الرابع

الأخطار الكارثية وشيطنة المجتمعات

الطائفية والقومية

النعرات الطائفية والعنصرية ومثيلاتهما موضوعات قديمة وجديدة، شئنا أم أبينا العالم يتجه إلى طريق الحروب والصراعات التي ترتبط ارتباطا كاملا بصراع الأيديولوجيات أو الصدوع الثقافية من جهة والحروب الطائفية والقومية من جهة أخرى , وذلك نتيجة لتلك المحفزات النفسية والدينية والاقتصادية التي تستغلها بعض الدول والمؤسسات والجماعات الدولية المتعصبة أو النفعية – وليس بالضرورة أن تكون جماعات متشددة، حيث شهد المجتمع الدولي تغيّراً في موازين القوى، فالدول التي كانت تحوي تعددية قومية أصبح بإمكان أي قومية عمل استفتاء استقلال وحق تقرير المصير، صحيح سوف تصنّف دولة صغيرة حسب معايير القياس القديمة من حيث الحجم وعدد السكان والقدرة العسكرية والإمكانات الاقتصادية، لكن يمكنها ان تصنف بأنها دول قوية من حيث الفاعلية والدور والقدرة على التأثير.

كما انه ليس هناك ما يؤكد ولو بنسبة قليلة جدا على ان مستقبل النظام العالمي القائم اليوم يمكن أن يستقر سياسيا خلال العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين على أقل تقدير - وبمعنى آخر – أنه لا توجد أي مؤشرات دقيقة يمكن الاستناد عليها أو الوثوق بها من الناحيتين السياسية والاقتصادية يمكن أن تعطي تلك المساحة الكافية من الأمل للوثوق بمستقبل بشري لا تشوبه الفوضى والصراعات والحروب التي تحركها تلك المحفزات.

والحقيقة أن هذه النظرة التشاؤمية إلى المستقبل لم يتم اختزالها في رؤية قاصرة على مساحة جغرافية محدودة لمتغيرات النظام العالمي القائم منذ بداية القرن الحادي والعشرين , بحيث ألغينا كل معالم الأمل في تلك التحولات الطيبة على المستويين السياسي والاقتصادي الدولي , وإنما قمنا ببنائها على عدد من الأسس العلمية التي يمكن الاستناد عليها في استشراف المستقبل وقراءة ما بين سطور وهوامش الخارطة الجيوسياسية الدولية المستقبلية في هذا السياق.

وبداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين , والتي أكدنا من خلاله على ان الصراعات والحروب كانت المرافق الأزلي الدائم للتاريخ السياسي والتحولات العالمية , وتوقعنا ان تستمر تلك الصراعات والحروب خلال العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين نتيجة استمرار الأسباب التي تدفع إلى ذلك.

وفي هذا السياق نفسه يقول الدكتور ايرل تيلفورد – وهو مدير البحوث بمعهد الدراسات الاستراتيجية بكلية الحرب التابعة للجيش الأمريكي – أن الصراعات العرقية والدينية قد لازمتنا منذ فجر التاريخ وسوف تستمر خلال القرن الحادي والعشرين.

وهناك ثلاثة أنواع من الحروب هي حرب المواجهة وحرب السيطرة وحرب البنية التحتية , ستكون حروب السيطرة هي أكثر الصيغ شيوعا في حروب المستقبل , وهي من نوع الحرب التي نفذتها يوغسلافيا السابقة بنجاح تام , بينما كان حلف شمال الأطلسي منهمكا في حروب جوية مبنية على مبادئ الثورة في الشؤون العسكرية.
من هذه الناحية نؤكد من جديد على أن أهم وأبرز مواطن الأسباب والدوافع الأيديولوجية التي يمكن أن تتسبب بتلك الحروب والصراعات الداخلية أو الإقليمية أو تلك العابرة للقارات , والتي نؤكد على أنها ستكون الشرارة الأكبر لحروب وصراعات ستتسبب في خسائر بشرية أكبر بكثير مما مر على البشرية في القرون الماضية , وذلك نتيجة لتراكم المعرفة والخبرة التاريخية في طرق الإبادة الجماعية وتوفر أدوات ووسائل القتل المتقدم , واستثمار الأموال الطائلة في امتلاك تلك الأدوات والوسائل التكنولوجية الحديثة والمتطورة هي الصراعات والحروب التي ستحركها الأفكار القومية والمذهبية والطائفية , أكان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات أو حتى الدول القومية العابرة للقارات , وبالطبع فإن حروب الخبز , أو كما يطلق عليها بثورة الجياع (تطالب بالعدالة الاجتماعية) ستكون المحفز الثاني لصراعات وحروب لا تقل أهمية من الناحية الجيوسياسية لرسم خارطة الأنظمة السياسية العالمية خلال المرحلة القادمة.
وسواء كنا متفائلين بتلك المحفزات السياسية والاقتصادية والتقدم العلمي ونضوج المجتمعات المدنية الحديثة , فإن ذلك لا يمكن له أن يوقف التيار الجارف لحتمية الصراع والاستمرار والبقاء ودوافع الاحتلال والتوسع والسيطرة الأزلية للقوى الكبرى , كما أنه لا يمكن له أن يحتوي تلك المعتقدات والأفكار والثقافات التي لا زالت تدفع بالإنسانية دفعا نحو حتفها كالطائفية والقومية والمذهبية والشعوبية , لذلك كان جيمس سجالنجر مصيبا بنحو لا يقبل الشك عندما توصل في عام 1992م إلى أن النظام العالمي المستقبلي سترسمه سياسة القوة والصراعات القومية والتوترات العرقية.
وبالنظر الدقيق إلى الخارطة الجيوسياسية الدولية للقرن الحادي والعشرين وما شابهها من صراعات وحروب وتحولات جيواستراتيجية وجيوبولتيكية خلال السنوات العشر الماضية , يتأكد لنا شكل النظام العالمي المستقبلي الذي يمكن أن ترسمه امتدادات وانعكاسات تلك الحروب والصراعات , والتي يمكن للمتابع العادي والبسيط أن يعرف بأنها لم تكن تتجاوز عتبات أبواب النعرات القومية والطائفية وتلك التي تساهم في صناعتها الامبريالية والتوسعية وأطماع الدول الكبرى.
فمن أحداث سبتمبر من العام 2001م إلى غزو أفغانستان والعراق والحرب الروسية الجورجية واليمنية السعودية ضد الحوثيين , إلى يقظة الهندوسية في الهند العلمانية الديموقراطية مع ما يرافقها من مجازر متبادلة بين المسلمين والهندوس، وانتفاضة

إسلامية في الفيلبين، ومعارك طاحنة في كشمير، وتفجيرات إرهابية في إندونيسيا، مروراً بسريلانكا وصولاً إلى الحرب والطائفية في العراق , إلى محاولات تفتيت الدول وتجزئتها طائفيا ومذهبيا كما هو الحال في اليمن والسودان على سبيل المثال. كما أننا لا يمكن أن نتناسى الساحتين الأمريكية والأوربية والتي ينتشر فيهما حتى الساعة هذا النوع من الصراعات الأيديولوجية والقومية وبشكل واضح , فعلى ما يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية بتنوعها الديمقراطي والعرقي تتجه بطريقة ما إلى صدام من نوع ما بين تلك الطبقة الحاكمة والمسيطرة من الأثرياء والإقطاعيين والرأسماليين وتلك الشريحة المهمشة من الشعب الأميركي , كما أن أوروبا الغربية سوف تدخل في مرحلة جديدة تتضمن المزيد من الزلازل القومية – الاجتماعية، (وما يحدث الآن في بلجيكا يمكن أن يحدث في سويسرا والتي تعاني بدورها من وجود كتلتين سكانيتين تعتمد إحداها الثقافة الفرنسية والأخرى الثقافة الألمانية , هذا، وتقول المعلومات بأن إيطاليا سوف تعاني أيضاً من ظاهرة التفاوت بين الشمال والجنوب الإيطالي، وحتى شمال السويد تقول المعلومات بأن سكانه أصبحوا أكثر عنصرية إزاء سكان جنوب السويد، وذلك بسبب اعتدادهم الآري بشعرهم الذهبي الذي يميزهم عن الآخرين).

والمفكر الأمريكي نيل فيرجوسون رسم صورة مخيفة عما يمكن أن يحدث للعالم- وبالطبع وفق وجهة نظر تصب في صالح بلاده تماما- إذا ما قررت الولايات المتحدة التخلي عن الزعامة العالمية والعودة الى العزلة. وهو يرى أن البشرية ستعود حينذاك إلى الحال الذي كانت عليه في القرنين التاسع والعاشر ميلادي الذي شهد تراجع الإمبراطوريات البيزنطية والإسلامية والصينية وتفكك وتذرر العالم إلى شظايا سياسية متحاربة ومتقاتلة.

ويضيف (وهنا الأهم) أن السمة الرئيس لهذين القرنين اللذين انحسرت عنهما القوة الإمبراطورية هو غياب التوجهات العلمانية وغلبة الصراعات الدينية على جداول الأعمال السياسية. ففي القرن التاسع مزقّ الخلاف حول دور الأيقونات في العبادة المسيحية الإمبراطورية البيزنطية. وفي القرن الحادي عشر نشبت الحروب بين البابا وبين رأس الإمبراطورية الألمانية المقدسة حول من يحق له تعيين الأساقفة. وفي الدول الإسلامية حكم الأئمة ورجال الدين –وهذا غير صحيح بالمرة، لكنه تبرير لما هو قادم. وقد انتهت هذه الحقبة بحروب مقدسة غير عادية هي الحروب الصليبية التي دشنها الأوروبيون العام 1095. ببساطة هو يوجب على العالم الامتثال لإملاءات القوة الأمريكية المفرطة، بل أيضا الترحيب بالتدخلات الأمريكية في كل مكان بما في ذلك بالطبع التدخلات العسكرية. وبهذا المعنى تصبح أميركا هي العالم وتتحول قواتها إلى فرق عسكرية في خدمة إمبراطورية العولمة التي هي الوجه الآخر الحقيقي للأمركة. وقد يعجب هذا الكلام

بعض الأنصار وقد يثير غضب غالبية الأطراف التي ترفض أن تكون خدماً في بلاط الإمبراطورية الأمريكية. القوة الأميركية المفرطة لن تقبل بأقل من الهيمنة على حديقتها العالمية الشاسعة. وبالتالي الاف. بي. أي يجب أن ينظر إليها على أنها " أف. بي. أي " العالم، وكذا الأمر بالنسبة للجيش والمارينز. سذاجة لا يمكن تخيلها إلا في عقل متغطرس، فالعالم متعدد الأقطاب والهيمنة أو المطلق غير الله تعالي هو ظلم تام.

إن ما يحدث في أغلب دول العالم بلا استثناء من حروب طائفية وصراعات قومية وحتى في تلك الدول المستقرة سياسيا كما يطلق عليها في الاصطلاح السياسي تعاني من تلك المحفزات , ولكن بطريقة مكبوتة بعض الشيء نتيجة القمع أو ضعف حالة تلك الجماعات أو الأفراد في الوقت الراهن , أو حتى على مستوى توجهات الدول القومية العابرة للقارات كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا على سبيل المثال, يصنع شكل الخارطة الجيوسياسية الدولية خلال المرحلة القادمة على رقعة الشطرنج الكبرى. إذا هناك دول مؤهلة للتقسيم والتجزئة والتفتيت على أسس عرقية وطائفية وقومية كما هي الحالة السودانية وربما اليمنية وستسقط أنظمة سياسية كما تتساقط أوراق الشجر اليابسة بسبب الثورات, أو بسبب المطالبة بالحريات والديمقراطيات , وبشكل غير مستبعد ستشهد البشرية خلال السنوات القادمة من القرن الحادي والعشرين حروب شرسة تتشارك فيها دول ضد جماعات وجماعات ضد أفراد أتصور أنها تبدأ من الشرق الأوسط وربما يشهد العالم الحروب التي تستخدم فيها الأسلحة النووية. ومن الأمور الخطيرة في القرن ال21 ضلوع ضباط وعسكريين سابقين فى التعاطف والانتماء والتدبير والمشاركة والقيادة للجماعات بمختلف أنواعها خاصة المسلحة منها.

التلاعب بقضايا الأنهار

خريطة توزع السكان في العالم غير سعيدة بالنسبة لهم,فسكان الدول المتقدّمة ينمون ببطء شديد وبمعدّل سنوي لايتجاوز 0,4% يمثلون 21% من البشريّة فقط. ومجموعة الدول الأقل تقدّماً والتي تضمّ خمسة مليارات نسمة ,تنمو بسرعة تفوق الأولى بنحو يزيد عن خمس مرّات أو تمثّل 79% من سكان المعمورة. الدول المتقدّمة هي أكثر امتلاكاً لفنون التقدّم والتكنولوجيا ,وبالتالي هي أكثر قدرة على مضاعفة مواردها. ولكن لو أمعنا جدا لأدركنا أننا أمام عالم سوف تتّسع فيه الفوارق وتنبؤات مستقبلية تحمل مفاجآت أكثر من ذلك بكثير. وفي الفترة حتى 2050 سوف تكون الهند أكبر تجمّع سكّاني في العالم وبما يعادل 30% من سكانه الحاليين لأنّها لا تملك نفس السياسات التي تتّبعها الصين لضبط السكّان، وتصبح الصين في المرتبة الثانية 1610 مليون نسمة مقابل 1640 مليون نسمة للهند تقريباً.

سوف يزداد عدد الدول العملاقة التي يزيد عدد سكان كلّ منها عن مائة مليون نسمة ,وتضمّ المنطقة 4 دول يزيد تعداد كلّ منها على المائة مليون منها "تركيا وايران ومصر". وفي دراسة قام بها مركز دراسات الوحدة العربية لاستشراف مستقبل الوطن العربي جاء فيها- تضاعف الديون العربية ثلاثين مرّة في عشرين عام-. حدث نمو مادي ولا يعني بالضرورة عدالة توزيع الدخل لأن زيادة الدخل تبدّدت في ظلّ الحرب، والموارد تبخّرت في ظلّ التشرذم وسيطرة المراكز الخارجيّة على كلّ ما يجري في الوطن العربي، فالخارج هو مركز الاستقبال للنفط والمال والعقول المهاجرة، وهو مركز التصدير للآلة والسلاح وقطعة الجبن والخبز ونمط الاستهلاك. وعبر رحلة "العرب-الخارج" يضيع الكثير، وإذا استمرّت نفس السياسات فالأخطار سوف تتزايد، "فإسرائيل تسيطر" ودول الجوار تنقض على الجسد الضعيف وأمريكا ترفض التعامل مع العرب كمجموعة واحدة والتنمية تتشوّه، وسوء التوزيع هو الغالب. والاتحاد على الأقل والوحدة هما الحلّ". وإن كانت لها مشاكلها ومحاذيرها. إنها وحدة لا تلغي المحليّة والخصوصية لكنّها تبرز سمات الشعب الواحد بإمكانياته الموحّدة.

تقول الأرقام إن الشرق العربي وشمال إفريقيا هو الأفقر مائياً بالقياس للعالم كلّه ,بل معظم بلدان الشرق العربي وشمال إفريقيا تقع تحت حزام الفقر المائي. لذا أصبحت المياه قضيّة أمن قومي وأصبح الكثيرون يتوقّعون أن تكون المياه –مثل الأرض- وراء الحرب القادمة. ووفقاً لبيانات البنك الدولي فإن هناك 22 بلداً في العالم تعاني من ندرة مزمنة للمياه، حيث يقل نصيب الفرد سنوياً عن ألف متر مكعب. والاستراتيجيون يتوقعون حروباً تثيرها أزمة المياه، وعلي السياسيين والاقتصاديين أن يبحثون وسائل

التعاون الإقليمي والعالمي لمواجهة هذه المشكلة المتفاقمة.وعلى حكومات المنطقة أن تقدّم تكنولوجيا تزرع أكثر وتستهلك من الماء أقلّ. المياه إذن قضيّة القرن الواحد والعشرين.

وهناك إشكالية بيئية متجددة متمثلة فى أزمة التغيرات المناخية, فمن المتوقع أن ارتفاع درجات الحرارة سيؤدي إلى انخفاض مستقبلي لاحتياط المياه العذبة وانتشار المناطق الجافة , مما يؤدي إلى تزايد أنماط الهجرات في الدول ويزيد من حدة الصراعات بينها حول المُكون المائ.وقد سبق وأن نشب القتال على ضفاف نهر السنغال حيث أدي الجفاف والتغيرفي تدفق النهر، مما اضطر القبائل إلى تغيير نمط حياتها ومكانها، حيث هاجرت إلى أماكن بها مياه وتقاتلت مع القبائل الموجودة.

كذلك ارتفاع وتيرة الفيضانات سوف يؤثر بدوره على تدهور نوعية المياه وهو ما سوف يؤثر على حجم المخاطر التي يتعرض لها الأفراد جراء تأثرهم بارتفاع منسوب المحيطات حتى عام 2080 حتى لو لم يتجاوز هذا الارتفاع 40 سنتمتراً، في حين أن التأثير المناخى فى مجال الزراعة تطرقت له أطروحات اللجنة الدولية بدراسة فى ملخصها أن المجتمعات الأكثر فقرا هي الأكثر اعتماد على المياه والزراعة ومن ثم ستتعرض لأكبر مخاطر في إطار التغيرات المناخية وكذلك موجات الحرارة المرتفعة سوف تؤثر على أنظمة البيئة.

والزراعة تستهلك 83% من كل المياه المتوفرة في الشرق العربي وشمال إفريقيا وهذه النسبة قد تنخفض بحلول 2030 إلى 65% نتيجة الاستخدام السكني للمياه. ويتوقع أن يصل السكان في الإقليم 348 مليون في ذلك الوقت وتصل احتياجاتهم المائية السنوية 470 بليون متر مكعب. وهذه الاحتياجات تكون أكبر بنحو 132 بليون مترمكعب من اجمالي المياه المتوفرة في ذلك الوقت، حتى لو تحسنت كفاءة استخدام المياه بسرعة مذهلة.

وفي هذا القرن ستعاني حوالي 90 دولة من نقص المياه وهو ما يجعل نصف سكان العالم يتأثرون وينجم عن ذلك 5 بليون شخص معرضين لسوء التغذية والمجاعات والأمراض. وكما تري اليونيسيف أن 35000 طفل يموتون يوميا في العالم من الجوع والأمراض التي نتتج عن نقص المياه وتلويثها.

مخاطر ذوبان الجليد

نسمع كثيرًا في الآونة الأخيرة عن الاحتباس الحراري وارتفاع درجة حرارة الأرض وذوبان الجليد. وقد ساهمت الحروب كغيرها فى ظهور الاحتباس الحرارى، خاصة أن الاستخدام المفرط للقنابل والرصاص، كل ذلك ينتج عنه ثانى أكسيد الكربون وأول أكسيد الكربون، وهما أكثر غازات الاحتباس الحرارى التى أدت إلى تغيرات مناخية.

ولكن هل تخيلت يومًا ما الشكل الذي سيكون عليه العالم بعد ذوبان أكثر من 5 مليون ميل مكعب من الجليد على الأرض؟ والحقيقة على عكس كل تخيلات من يقول أننا لن نجد اليابسة التي نعيش عليها بل سيؤدي ارتفاع منسوب مياه البحار إلى آثار مدمرة للعديد من دول ومدن العالم حيث أنه من المتوقع أن ترتفع منسوب المياه بنحو 216 قدم والآن عرض للخرائط التي يتوقعها العلماء للعالم بعد ارتفاع البحار.

قارة أمريكا الشمالية: قد يختفي الساحل الأطلسي ومعه فلوريدا وساحل الجولف. وأما هضاب وتلال سان فرانسيسكو وكاليفورنيا تصبح مجرد ماضي بحيث تظهر على شكل جزر بسيطة وسط المياه مجرد أراضي عادية ويصبح الوادي الكبير خليج يحتوي على الكثير من المياه.

قارة أمريكا الجنوبية: حوض نهر الأمازون في الشمال وحوض نهر الباراجوي في الجنوب سوف يصبحون جزء من المحيط الأطلسي ولكن الجبال الممتدة على على السواحل الكاريبية والموجودة في وسط القارة سوف تنجو من هذا الفيضان الكبير.

قارة إفريقيا، مقارنة بقارات العالم الأخرى سوف تكون أفريقيا أقل القارات التي تفقد بعض من أراضيها ولكن نتيجة لارتفاع درجات الحرارة بشكل كبير في هذه الآونة يمكن أن تصبح معظمها غير مأهولة. ولكن بلا شك وقد تغرق الإسكندرية في مصر بمياه البحر المتوسط. وهناك اتجاهًا يشير إلى زيادة درجات الحرارة في مصر وحوض النيل، بصفة عامة وأنه ستتراوح معدلات الزيادة هذه مابين1 درجة مئوية عام2030 م في كل من مصر وحوض النيل وحتى 4و2درجة مئوية في مصر عام 2100 م و5و2درجة في حوض النيل خلال نفس العام، إلا أنه من الملاحظ أن هذا الارتفاع المتوقع في درجات الحرارة سيتباين خلال العام الواحد في مصر

حيث يرتفع معدل الزيادة خلال فصل الصيف (يونيه – أغسطس).

أما بالنسبة لتوقع التقلبات في هطول الأمطار فعلى حين سنجد أنها تسير نحو الانخفاض المطرد فوق مصر) حيث ستتراوح نسب انخفاضها ما بين – 2و5%عام 2030 م إلى – 2و13 %عام 2100 م (إلا أنها ستأخذ في الزيادة المطلقة في منطقة حوض النيل) من 5و1%عام 2030 م حتى 7و3% عام 2100 م.

قارة أوروبا: سوف تصبح لندن مدينة في الذاكرة في حين تتعرض البندقية للغرق تحت مياه البحر الأدرياتيكي وتصبح هولندا أحد الجزر المحاطة بالمياه من جميع الاتجاهات بينما تتعرض معظم أجزاء مدن الدنمارك وبل وقد تتصل مياهي البحر المتوسط والبحر الأسود

آسيا: تأتي للصين التي تعد من أكبر الدول في العالم حاليًا ولكن الفيضان قد يجتاحها وتصبح الجبال الساحلية عبارة عن مجرد جزر.

استراليا: تصبح في أغلبها صحراء وينشأ نتيجة ارتفاع منسوب المياه ما يشبه البحر الداخلي كما أنها ستخسر معظم شواطئها المشهورة الآن.

انتركتيكا: تصبح أنتركتيكا أصغر في المساحة بشكل عام لأنها تأسست في الأصل على مجموعة من الصخور التي تكونت تحت سطح البحر كما أن معظمها تكون من الجليد الذي سوف يذوب نتيجة ارتفاع درجات الحرارة مما يعني انهيار معظم القارة.

ليس ذلك فقط، بل القارات ذاتها تتحرك، وهناك 3 أنواع من التحرك، وهى:

1-القارات تقرب من بعض كما هو الحال بين إفريقيا وأوروبا يعنى بعد بضع من ملايين من السنين البحر المتوسط لن يكون موجود

2- القارات تبتعد عن بعضها كما هو الحال بين إفريقيا ومنطقة جنوب غرب آسيا وبعض بضع من ملايين السنين البحر الأحمر يتحول لمحيط كبير

3- القارات تبعد عن بعضها مع وجود إزاحة أفقية (القارات تبعد عن بعضها وفى نفس الوقت تتحرك للأمام والخلف).

وهو معروف أن كوكب الأرض الذي تشكل من قارة واحدة ضخمة قبل أن تتفرق إلى القارات بشكلها الحالي، سيبدأ في العودة لوضعه الأول مرة أخرى خلال بضع من ملايين السنين.وآخر اتحاد للقارات كان قبل 250 مليون سنة، حيث بقيت هذه القارة المتحدة لمدة 50 مليون سنة ثم بدأ بالتفكك بفعل التصدعات التي قامت بتحرير الأمريكتين عن أفريقيا، ثم انفصلت الأراضي القطبية، وبعدها انفلق صدع المحيط الأطلنطي باتجاه الشمال لتتحرر الكتلة الموحدة لآسيا وأوروبا. والقارات ستبدأ في الاقتراب من بعضها البعض مجددًا، فشمال أفريقيا يتقدم الآن نحو جنوب أوروبا عبر البحر المتوسط لتتحول شواطئه إلى سلسلة من القمم الثلجية ويختفي البحر.وهناك قارة أستراليا وهى أسرع القارات حركة، التي بدأت بالفعل تكتسح غينيا الجديدة والجزر الإندونيسية في طريقها لتشكيل تكدس مضطرب مع قارة آسيا. ويتوقع العلماء أنه بعد مرور 200 مليون عام ستعود الأرض لتصبح قارة واحدة عملاقة اسمها بنجيا ألتيما، للمزيد يمكن الرجوع لكتابنا "مناخ العالم حتى 2100".

الأسلحة الجيوفيزيائية وصناعة الزلازل والطقس السيء

تعتمد هذه النوعية على التلاعب بالعمليات والتفاعلات التي تحصل في قشرة الأرض وفي غطائها الغازي والسائل لأهداف عسكرية، ويكون الغلاف الجوي الواقع على ارتفاع 10 إلى 60 كم هو ذو أهميّة خاصة لهذا النوع من الحروب. ولما كنت في المرحلة الإعدادية قرأت أن إسرائيل تحاول اختراع سلاح كيماوي أو بيولوجي لا يصيب ولا يقتل إلا العرب. بمعني اوضح يوجه تجاه جنسية بعينها فيقتلها.

والكيمتريل "Chemtrail" الجيل الرابع من أسلحة الدمار الشامل التى بدأت بالجراثيم ثم السموم ثم القنابل الذرية.البعض اعتبره سلاح جديد لتخفيض عدد سكان الأرض وإبادة أجناس بعينها مثلما حدث مع الهنود الحمر!

فبعد قنبلة الموجات القصيرة، والقنبلة الكهرومغناطيسية، وقنبلة التعتيم، والقنابل الماصّة للأكسجين من الممّرات والمناطق المغلقة، والقنابل الإلكترونية. تلك الترسانة الرهيبة التي استُخدمت - ولا تزال - في تخريب بلاد. تحتكر الولايات المتحدة سلاحاً أشدَّ فتكاً وأسوأ أثراً، وهو الكيمتريل الذي يوظِّف الكوارث الطبيعية في الفتك بالبشر! هل ستختار لنا أمريكا المناخ وتفرضه علينا، كما اختارت لنا التبعية والخنوع والحكام ونظم الحكم وفرضتهم علينا ؟!

الكيمتريل هو عبارة عن سحابات صناعية يتم إطلاقها بواسطة الطائرات النفاثة، تعمل على حجب أشعة الشمس بحجم كبير. كما أنها تؤدي - من خلال ما بها من أكسيد الألمونيوم وأملاح الباريوم - إلى تبريد الهواء الأرضي بشكل واضح؛ نتيجة قيام هذه السحابة بدور المرآة العاكسة، فتعكس حرارة وأشعة الشمس إلى الفضاء مرة أخرى؛ فيقل وصولها إلى الأرض؛ ما يؤدي إلى تبريد الهواء وانخفاض حرارته تدريجياً؛ فيشعر سكان المناطق الجافة بالبرودة، بينما يشعر سكان المناطق شبه الجافة بالبرودة الشديدة، وكذلك سقوط الأمطار غير العادية والرعد والبرق والصواعق، أما في المناطق الشمالية - مثل أوروبا - فإن البرودة الشديدة تؤدي إلى زيادة كثافة وسرعة تساقط الجليد؛ مما يمثل كارثة على هذه الدول، وكل ذلك بسبب التبريد الشديد الناتج عن إطلاق غاز الكيمتريل، وقد تزايدت الشكوك حول الغرض من استخدامه والذي يُعتبر غرضا سريا يكتنفه الغموض، كما أنه يُستعمل في برامج سرية يقودها مسؤولون حكوميون.

وتتكون تسمية كيمتريل من مقطعين اثنين Chem أي مواد كيماوية و trailأي الأثر، وهي اختصار ل "chemical trail"وهي تشبه نوعا ما عبارة "contrail" وهي لفظ منحوت لغيمة طائرة "condensation trail " كما أنها لا ترتبط بأشكال الرش الجوي الأخرى مثل التطبيق الجوي والاستمطار والكتابة الدخانية في السماء ومكافحة الحرائق

الجوية. يشير المصطلح خصوصا إلى وجود مسارات جوية نتجت عن إطلاق مواد كيميائية من ارتفاعات عالية جدا وهي مواد لا تتواجد في الدخان التي تطلقه نفاثات الطائرات العادية.

ويعد الكيمتريل أحدث ما توصلت إليه الترسانة العسكرية الأمريكية فإذا كانت الجراثيم التي استخدمتها بريطانيا في الحرب العالمية الأولى هي أولى أسلحة الدمار الشامل، والسموم التي استخدمها «هتلر» في الحرب العالمية الثانية تمثل الجيل الثاني من هذه الأسلحة، والقنابل الذرية والنووية تمثل الجيل الثالث، فإن الكيمتريل يمثل الجيل الرابع من أسلحة الدمار الشامل.

والمثير للانتباه في هذا الصدد أن الاتحاد السوفيتي السابق هو من اكتشف الكيمتريل، حيث تفوق مبكرا على أمريكا في مجال الهندسة المناخية عندما حصل على نتائج دراسات قديمة في أوائل القرن الماضي للباحث الصربي نيقولا تيسلا الذي صنف بأنه من أعظم علماء ذلك القرن بعد أن نجح في اكتشاف الموجات الكهرومغناطيسية وقام بابتكار مجال الجاذبية المتبدل بل واكتشف قبل وفاته كيفية إحداث "التأيين" في المجال الهوائي للأرض والتحكم فيها بإطلاق شحنات من موجات الراديو فائقة القصر مما يسفر عن إطلاق الأعاصير الاصطناعية وبذلك يكون نيقولا تيسلا هو مؤسس علم الهندسة المناخية الذي بدأه الاتحاد السوفيتي ثم تلته الصين.

أما بداية معرفة الولايات المتحدة بـ "الكيمتريل " فقد بدأت مع انهيار الاتحاد السوفيتي وهجرة الباحث الصربي نيقولا تيسلا والعلماء الروس إلى أمريكا وأوروبا وإسرائيل.

وكانت آخر الاستخدامات السلمية الروسية لهذا الغاز ما حدث في الاحتفال بمناسبة مرور60 عاما على هزيمة ألمانيا وانتهاء الحرب العالمية الثانية وذلك في مايو 2005 باستخدام وزارة الدفاع الروسية للطائرات في رش الغاز في سماء موسكو وخصوصا الميدان الأحمر لتشتيت السحب وإجراء مراسم الاحتفالات في جو مشمس وكان ضيف الشرف في هذا الاحتفال هو الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن وذلك للمرة الأولي وهي رسالة موجهة له ليفهم منها دقة التحكم في الطقس بتقنية الكيمتريل على مستوي مدينة واحدة هى موسكو.

وقبل التجربة الروسية السابقة قام السوفيت بإسقاط الأمطار الصناعية "استمطار السحب" وذلك برش الطبقات الحاملة للسحب وقد استفادت الصين من ذلك خلال الفترة ما بين 1995 و2003 واستمطرت السحب فوق 3 ملايين كيلو متر مربع "حوالي ثلث مساحة الصين" وحصلت على 210 مليارات متر مكعب من الماء حققت مكاسب اقتصادية من استزراع تلك المناطق التي كانت جافة قدرت بـ "1,4" مليار دولار وكانت التكلفة العملية فقط "265" مليون دولار.

وبرنامج التحكم في الطقس نشطت منذ الستينات فيما يعرف بمشروع العاصفة والذي كان المقصود منه التحكم في الأعاصير والعواصف بالمحيط الأطلسي.

ثم تطورت أبحاث الكيمتريل على يد واشنطن وتوصلت إلى قواعد علمية وتطبيقات تؤدي إلى الدمار الشامل يطلق عليها الأسلحة الزلزالية يمكن بها إحداث زلازل مدمرة اصطناعية في مناطق حزام الزلازل وتقنيات لاستحداث ضغوط جوية عالية أو منخفضة تؤدي إلى حدوث أعاصير مدمرة.

وفى عام 1995 عرضت واشنطن على منظمة الأمم المتحدة رسمياً أن تتبنى مشروعاً تحت اسم الدرع The Shield لمدة 50 سنة بتكاليف مليار دولار سنويًا تتحملها الولايات المتحدة وحدها تحت مظلة الأمم المتحدة عملياً وتطبيقياً؛ من أجل تحسين المناخ والحد من ظاهرة الاحتباس الحراري؛ بتطبيق براءة اختراع مسجلة باسم اثنين من العلماء الأمريكان من أصول صينية هما ديفيد شنج ، وآي- فو- شي. وخلاصة براءة الاختراع هي عمل سحاب اصطناعى ضخم من غبار خليط من أكسيد الألمنيوم وأملاح الباريوم، يتم رشها "أيروسول" في طبقة «الإستراتوسفير» على ارتفاع يتراوح بين 8 و10 كيلومترات، والمتميزة بدرجة حرارة منخفضة تصل إلى (-80) درجة مئوية، وتنعدم فيها التيارات الهوائية، لتبقى السحابة مكانها لبضعة أيام قبل أن تهبط مكوناتها بفعل الجاذبية الأرضية إلى طبقة الهواء السفلى. ويعمل أكسيد الألمنيوم في هذه السحابة عمل المرآة؛ فيعكس حرارة الشمس إلى الفضاء الخارجي لأكثر من أسبوع، إضافة إلى حجب ضوء الشمس عن الأرض؛ ما يؤدي إلى انخفاض شديد ومفاجئ لدرجة الحرارة؛ متسبباً في تكوين مناطق للضغط المنخفض يندفع إليها الهواء من أقرب مرتفع جوي، فتتغير بسببها مسارات التيارات الهوائية الطبيعية، وتهب الرياح في اتجاهات غير معهودة في ذلك التوقيت من السنة.وعند هبوط ووصول غبار «الكيمتريل» إلى طبقة الهواء الحاملة لغاز ثاني أكسيد الكربون (المتسبب الرئيس في ظاهرة الانحباس الحراري) تتفاعل أملاح الباريوم - التي يتحول جزء منها إلى أكسيد باريوم - معه، فيقل تركيز هذا الغاز وتنخفض حرارة الجو. وخلال تلك الفترة تفقد السماء لونها الأزرق المعروف، وتصبح أثناء النهار سماءً ذات لون رمادي خفيف يميل إلى اللون الأبيض (ظاهرة السماء البيضاء).

وتشترك منظمة الصحة العالمية في المشروع منذ عام 1995 قبل تقديمه إلى الأمم المتحدة. وأسند المشروع إطلاق غاز «الكيمتريل» في أوروبا إلى الطائرات المدنية وطائرات حلف شمال الأطلسي (الناتو)، وفي بقية العالم إلى أساطيل شركات الطيران المدنية العالمية التي تمتلك طائرات «البوينج» للوصول إلى طبقة «الإستراتوسفير». ويُشترط في العاملين بالمشروع أن يكونوا من مواطني الولايات المتحدة أو كندا، مع الالتزام بالسرية الكاملة عن كل ما يجري من أعمال به، ويوقّعون إقرارات بذلك.

ظلت تقنية الكيمتريل سر مقتصر على الطبقة السياسية والعسكرية الأعلى، حتى اكتُشفت بالصدفة في مايو 2003 عندما اطلع العالم الكندي ديب شيلد - والذي كان من بين العاملين في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) - عن غير قَصْد على وثائق سرية عن إطلاق «الكيمتريل» فوق كوريا الشمالية وأفغانستان وإقليم كوسوفا (أثناء الحرب الأهلية اليوغسلافية) والعراق والخليج العربي في حرب الخليج.وتضمنت الوثائق إشارة إلى الجفاف والأمراض والدمار البيئي الذي نتج عن ذلك، وأدى إلى موت عدة ملايين من البشر خلال بضع سنوات. وأشار شيلد إلى أنه شخصياً مقتنع بفكرة مشروع «الكيمتريل» إذا كان سيخدم البشرية بتقليل ظاهرة الاحتباس الحراري، ولكنه يرفض تماماً استخدامه كسلاح لإبادة البشر وفرض السيطرة على الشعوب، واعتبره سلاحاً مدمراً للجنس البشري، مشيرا إلى أنه قرر الانسحاب من العمل.وفى عام 2006 وُجد هذا العالِم مقتول في سيارته بعد ثلاث سنوات من كشف سر «الكيمتريل»؛ كلمة السر في الجيل الرابع من أسلحة الدمار الشامل، وحينها زعمت الأنباء أنه انتحر، ولكن زوجته أكدت أنه كان في حالة نفسية مزاجية يستحيل معها أن يُقدم على الانتحار.

في تصريحات لمجلة الأهرام العربي المصرية في 7 يوليو 2007 كشف الدكتور منير محمد الحسيني - أستاذ المكافحة البيولوجية وحماية البيئة بكلية الزراعة جامعة القاهرة - حقائق مثيرة وردت في بحث حول إطلاق علماء الفضاء والطقس في أمريكا لغاز الكيمتريل سر على مناطق مختلفة في أنحاء العالم من بينها مصر. ورجح أن يكون السبب في ارتفاع درجات الحرارة في السنوات الأخيرة في مصر وشمال أفريقيا وبقية البلدان العربية هو التجارب الأمريكية في هذا الصدد، وقال: عند هبوط سحابة الكيمتريل إلى سطح الأرض فوق المدن الكبيرة مثل القاهرة وغيرها، حيث تسير ملايين السيارات في الشوارع التي ينبعث منها كم كبير جداً من الحرارة، فيقوم أكسيد الألومنيوم بعمل مرآة تعكس هذه الحرارة للأرض مرة أخرى؛ ما يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة بشكل غير عادي؛ متسبباً فيما يسمى موجات الحر القاتل كما حدث في باريس عام 2003م، وجنوب أوروبا في يونيو 2007م. وأضاف: إن أسراب الجراد التي هاجمت مصر وشمال أفريقيا وشمال البحر الأحمر ومنطقة جنوب شرق آسيا فوق السعودية والأردن أواخر عام 2004م، كان السبب الرئيس فيها هو غاز الكيمتريل، بعد رش تلك المنطقة بزعم خفض الاحتباس الحراري. واختفت السماء خلف سحاب الكيمتريل الاصطناعي خلال عدة ساعات، وحدث الانخفاض المفاجئ لدرجات الحرارة، وتكوّن منخفض جوي فوق البحر المتوسط، وتحول المسار الطبيعي للرياح الحاملة لأسراب الجراد الصحراوي إلى الجزائر وليبيا ومصر والأردن وغيرها، وبهذا لم تتم الرحلة الطبيعية لأسراب الجراد. ويتابع الحسيني: في ذلك الوقت، لاحظ الباحثون أن الجراد الذي دخل مصر كان يحمل اللون

الأحمر، بينما كان الجراد الذي يدخل مصر على طول تاريخها يحمل اللون الأصفر، واختلاف الألوان هنا جاء بسبب أن الجراد الأحمر هو الجراد ناقص النمو الجنسي، ولكي يكتمل نموه الجنسي كان لابد أن يسير في رحلة طبيعية حتى يتحول إلى اللون الأصفر كما تعودنا أن نشاهده في مصر، ولكن مع حدوث المنخفض الجوي الجديد، اضطر الجراد إلى تغيير رحلته دون أن يصل إلى النضج المطلوب». وتوقع د. الحسيني أن تعرف مصر ظاهرة الموت بالصواعق كما حدث في أبريل عام 2006م عندما قُتل اثنان من رعاة الأغنام بالمنصورة صعقاً، وكذلك في 13 أبريل 2007م عندما قُتل ثلاثة مزارعين أثناء عملهم بالحقول في محافظة البحيرة في شمال مصر. ويقول العالم المصري: إن هذا يفسر احتراق إيريال محطة الأقمار الصناعية في المعادي عام 2009 وحادثة الكرة النارية التي هبطت من السماء في مدينة طهطا بمحافظة سوهاج. كما يسبب هذا الغاز ظاهرة الاستمطار للسحب؛ ما يؤدي إلى حدوث أمطار غزيرة وفيضانات كما حدث في سيناء وأسوان. ولا تتوقف خطورة هذا الغاز عند هذا الحد، إلا أنه يُحمَّل ببكتيريا يستنشقها الإنسان وتسبب جميع الأمراض التي نسمع عنها الآن ونسميها أمراض العصر، وهذا ما يفسر إقدام شركات الأدوية على الاشتراك في تمويل مشروع الدرع بمليار دولار سنوياً. ونحن نتساءل مع بعض الباحثين والمهتمين بمثل هذه الأمور، هل ما يقال عن غرق دلتا النيل مجرد تخمينات، أم أنها تمهيد لما بعد ذلك لإغراق الدلتا بفعل فاعل وإظهار الأمر كأنه كارثة طبيعية !وفوجئ العالم بعد زلزال هايتي بتقارير صحفية تؤكد أن الزلزال المدمر ليس الجاني الحقيقي فيما أصاب تلك الجزيرة التي تقع في منطقة الكاريبي، وإنما للأمر أبعاد أخرى تتعلق أساساً بتجارب علمية أمريكية حول حروب المستقبل التي ستحدث تدميراً واسعاً، بينما ستظهر كأنها كوارث طبيعية.

ففي 20 يناير 2010م، خرج الرئيس الفنزويلي الراحل هوجو شافيز بتصريحات مثيرة، كشف خلالها أن هناك تقريراً سرياً للأسطول الشمالي الروسي يؤكد أن تجارب السلاح الزلزالي التي أجرتها قوات البحرية الأمريكية هي التي تسببت في وقوع كارثة هايتي. وأضاف شافيز في تصريحات لصحيفة آي بي سي الإسبانية: إن التقرير السري يشير إلى أن الأسطول البحري الشمالي الروسي يراقب تحركات ونشاط القوات الأمريكية في بحر الكاريبي منذ عام 2008م حين أعلن الأمريكيون نيتهم في استئناف عمل الأسطول البحري الرابع الذي تم حله عام 1950م، وهو الأمر الذي دفع روسيا للقيام بمناورات حربية في تلك المنطقة عام 2009م بمشاركة الطراد الذري (بطرس الأكبر)، وذلك لأول مرة منذ انتهاء الحرب الباردة.

وتابع شافيز قائلاً: التقرير الروسي يربط بين تجارب السلاح الزلزالي التي أجرتها البحرية الأمريكية مرتين منذ بداية العام الجديد، والتي أثارت أولاً هزة قوتها 6.5 درجة في مدينة

أوريكا في ولاية كاليفورنيا لم تسفر عن أية ضحايا، وثانياً الهزة في هايتي التي أودت بحياة حوالي 200 ألف بريء. ونُسب للتقرير القول أيضاً: إن واشنطن ربما توافرت لديها المعلومات التامة عن الأضرار الفادحة التي قد تتسبب بها تجاربها على السلاح الزلزالي، ولذا أوفدت إلى هايتي قبل وقوع الكارثة الجنرال كين قائد القيادة العسكرية الجنوبية للجيش الأمريكي ليراقب عملية تقديم المساعدة إذا اقتضى الأمر.

جريدة "آخر خبر" التي تصدر بالعربية في الولايات المتحدة لم تذهب هي الأخرى بعيدا عما سبق، حيث كشفت في تقرير لها أن كارثة "تسونامى" التي ضربت جنوب آسيا قبل سنوات نجمت عن تجارب نووية أمريكية فى قيعان البحار وأعماق المحيطات، قائلة :" تحاول واشنطن الآن خداع دول وشعوب العالم أيضا بأن ما أصاب هايتى هو كارثة طبيعية نتيجة زلزال مدمر إلا أن العلم الجيولوجى ومراقبة ورصد حركات الأرض تعطى مؤشرات ونذير بوقوع الأخطار وحدوث الزلازل من خلال المتغيرات التى تطرأ على الأوضاع الطبيعية حيث تظهر بوادر انقسامات أو تسطحات وتصدعات فى قشرة الأرض أما التصدع الكبير والمفاجىء فهو يكون علميا ناجما عن محدثات صناعية متمثلة في تجارب نووية لمعرفة مدى تأثيرها وما تحدثه من تدمير أو تغير على شكل الطبيعة فى الأرض والبحار.

وتابعت قائلة : التجربة في هايتي أثبتت النجاح والآن يتم تجميع المعلومات وتحليلها وتسجيلها وهي إعادة لتجربة تسونامى وأصبحت الآن تجربة علمية عسكرية أمريكية نجحت. وحذرت الصحيفة الدول العربية وأفغانستان والصومال واليمن بأنهم الهدف التالي، قائلة :" ما حدث في هايتي غير بعيد عن التجارب الإسرائيلية على مقاومة الكوارث الطبيعية وغير مستبعد أن المنطقة العربية مرشحة لتجربة مماثلة خاصة وأن التجربة الأمريكية في هايتى أصبحت مجدية بعد نجاحها في إحداث خسائر فادحة تعجز الحروب المباشرة عن تحقيقها.

ويبدو أن الأحداث التي تلت وقوع الكارثة ترجح صحة التقارير السابقة، فقد أعاقت سلطات المراقبة الجوية الأمريكية في مطار بورت أو برانس بهايتي مهمة الطائرة التابعة لوزارة الطوارئ الروسية في نقل الإمدادات الإنسانية من فنزويلا وذلك بسبب تأجيلها الدائم لمواعيد الرحلات الجوية وعدم منحها الطائرة الروسية ترخيصا.

وما يضاعف القلق تجاه نوايا واشنطن هو قيامها بتبرير العراقيل أمام الدول الراغبة بإغاثة هايتي بأن جنود البحرية الأمريكية في مطار بورت أو برانس لا يريدون أن يوزعوا كميات قليلة من الغذاء والماء وهم بانتظار وصول كميات أكبر كما أنهم قلقون من توجه وكالات الإغاثة إلى المدينة التي لا يحكمها قانون بدون دعم مسلح.

التبرير السابق غير المنطقي دفع صحيفة " الفايننشيال تايمز " البريطانية لانتقاد الدور

الأمريكي، قائلة :" إنه وسط الرعب الذي تعيشه هايتي فإن المناكفات بين الدولتين اللتين احتلتاها في الماضي (الولايات المتحدة وفرنسا) لا يساعد بأي حال من الأحوال في إغاثة المنكوبين."

وفى هذا السياق، فجر العالم الكندى "ديب شيلد" مفاجأة مفادها: أن إعصار "جونو" الذي ضرب سلطنة عمان من سنوات وأحدث خرابا وتدميرا كبيرا ثم جنح إلى إيران بعد أن فقد نصف قوته كان ناجما عن استخدام "الكيمتريل"، قائلا :" بكل تأكيد هو صناعة أمريكية وإسرائيلية، ولكن ليست سلطنة عمان هي المقصودة بهذا الدمار وإنما كان الهدف إيران ولكن بسبب خطأ بعض الحسابات تحول الإعصار إلى سلطنة عمان وعندما ذهب إلى إيران كانت قوته التدميرية قد استنفدت.

وفي محاضرة ألقاها الكولونيل تامزي هاوس أحد جنرالات الجيش الأمريكي، ونشرت على شبكة معلومات القوات الجوية الأمريكية، وكشف فيها أن الولايات المتحدة سوف تكون قادرة في عام 2025م على التحكم في طقس أية منطقة في العالم، عن طريق تكنولوجيا عسكرية غير نووية يتم إطلاقها من خزانات ملحقة بالطائرات النفّاثة، مشيراً إلى أن الولايات المتحدة تسعى لاستخدام تقنية الكيمتريل كجزء من أدواتها الرئيسة للحروب المستقبلية.

كما تضمنت المحاضرة إشارة إلى توصية من البنتاجون تشير إلى استخدام سلاح الجو الأمريكي أسلحة التحكم في الطقس لإطلاق الكوارث الطبيعية الاصطناعية من الأعاصير والفيضانات أو الجفاف المؤدي للمجاعات، بالإضافة إلى التوصية ببدء نشاط إعلامي موجه لتجهيز المواطن الأمريكي لقبول مثل هذه الاختراعات؛ من أجل طقس مناسب لحياة أفضل، ثم إقناع المواطن الأمريكي بعد ذلك باستخدام هذه الأسلحة لحمايته من الإرهابيين.

وظهر مصطلح "كيمتريل" في مشروع قانون في عام 2001 بالولايات المتحدة، وهذا المشروع قدمه السياسي دنيس كوسينيتش أمام الكونجرس الأمريكي حيث وصف فيه أن الكيمتريل سلاح يتسم بالغرابة. لكن قوبل هذا المشروع بالرفض ولم يتم ذكر هذا المصطلح في نسخات تالية.

وفي مقابلة أُجريت في يناير 2002 من قبل الصحفي بوب فيتراكيس في جريدة كولوميوس ألايف، سأل هذا الصحفي كوسينيتش عن سبب ذكره لمصطلح كيمتريل في مشروع القانون بالرغم من أن حكومة الولايات المتحدة تنفيه بشدة، فأجاب كوسينيتش قائلا: "السبب أنه يوجد برنامج كامل في وزارة الدفاع يُدعى فيجن بور 2020 وهو المسؤول عن تطوير هذه الأسلحة".

كما كشف تقرير لمجلة "العلم والسلاح" الأمريكي، أن إسرائيل قامت بتطوير سلاح أيكولوجي يسمى "الكيمتريل"، تحت إشراف علماء الطقس الإسرائيليين، تم إجراء اختبار عليه فوق الأردن ومصر والسعودية أو فوق العراق وأفغانستان. وأكد التقرير أن عملية إطلاق "الكيمتريل" جرت فوق الأراضي المصرية في الفترة من 4 نوفمبر إلى 14 نوفمبر 2004، وأدى ذلك إلى نزوح الآلاف من أسراب الجراد إلى مصر بفعل الرياح.

قام كليفورد كارنيكوم رئيس مؤسسة غير ربحية بتحليل عينات من الهواء التي جمعها على مستوى سطح الأرض بعد عمليات رش غاز الكيمتريل، وخلصت التحاليل إلى أنه يتكون من المعادن الثقيلة بما في ذلك الألمنيوم والباريوم وأملاح مثل المغنيسيوم والكالسيوم وغيرها من العناصر مثل التيتانيوم وألياف المكوثر المجهرية، كما خلصت الأبحاث التي قام بها لويجينا ماركيز، وهو مؤلف ملفا عن رش المواد الكيماوية والتي قام بنشرها في مجلة إكس تايم عدد 3 أكد من خلالها دراسة كارنيكوم مشيرا إلى وجود صلة بين المواد الكيميائية الجوية غير الزراعية المستخدمة وآثار الباريوم والألومنيوم في الزراعة العضوية.كما قامت عدة جهات في أريزونا وفينيكس بتحليل عدة تقارير قدمتها فرق من المواطنين من بينها سكاي ووتش الذين قاموا بمراقبة عمليات الرش، وخلصت النتائج إلى تواجد كميات من المواد الكيميائية السامة. وفي بحث آخر توصل علماء في تحليل مكونات هذه المادة، فهو خليط من وقود الطائرات JP8 +100 إضافة إلى نسبة كبيرة من ثاني بروميد الإيثلين (EDB) وقد تم حظر هذه المبيدات الكيماوية في عام 1983 من قبل وكالة حماية البيئة الأمريكية باعتبارها مادة مسرطنة إضافة لكونها مادة كيميائية شديدة السمومة. وقال أحد الباحثين والمحققين ويدعى تومي فارمر أنه وعلى إثر تحليل عينات من الكيمتريل قد تبين أنه يحتوي على الحديدوز المؤكسد ويستعمل في إنجاز تجارب على الطقس.

وللكيمتريل تأثيرات خطيرة على صحة الإنسان، فهو يمكن أن يسبب مشاكل في التنفس، ويمكن في بعض الأحيان أي يسبب مرض ألزهايمر بسبب أنه يحتوي على الأليمنيوم. وأعلن المتحدث باسم الحزب المعارض في كندا وهو الحزب الديمقراطي الجديد في 18 نوفمبر 1998 جوردن إيرلي في شكل عريضة موجهة للبرلمان باسم سكان بلدة إسبانيولا في كندا ذكر فيها: وقع أكثر من 500 من سكان من منطقة إسبانيولا عريضة تتعلق بمخاوفهم بشأن إمكانية تورط الحكومة في دعم طائرات تقوم برش ضبوب ووجدوا آثارا عالية من جزيئات الألومنيوم والكوارتز في عينات من مياه الأمطار، وقد دفعت هذه المخاوف بالكنديين لاتخاذ إجراءات خاصة كما سعوا إلى الحصول على إجابات واضحة. ويسبب أيضا التهابات حادة في الحلق والجيوب الأنفية التي تسبب الصداع وتورم في

الغدد اللمفاوية ونوبات السعال وضيق في التنفس وفشل عام في الجهاز التنفسي كما يلحق ضررا بالقلب والكبد، والتعرض لثاني بروميد الإيثلين يجعل الأشخاص أكثر عرضة لعوامل بيولوجية أخرى بسبب التهيج الشديدة في الرئة. كما ظهرت أمراض جديدة بالولايات المتحدة مثل مرض مورجيلونز يمكن أن يكون سببه من عمليات رش الغاز، وهو مرض يصيب الجلد نتيجة ظهور ألياف ملونة وملتوية. وبحسب اختبار التلوث لمادة الكيمتريل فإنه قد وُجد ألياف المكوثر المجهرية في الجسم.

وفي 8 ديسمبر من عام 2000 في كندا، اتصل البرنامج بتيري ستيوارت مدير التخطيط والبيئة بمطار فيكتوريا الدولي ليطلب منه تفسيرا حول أشكال غريبة من الدوائر والشبكات والنسيج الدخاني فوق عاصمة كولومبيا البريطانية، ولكنه رد بواسطة رسالة صوتية قائلا: "هذه مناورة عسكرية للقوات الجوية الكندية والأمريكية. فهم لا يريدون توضيحا أكثر.

وفي يوليو 2004 في ألمانيا، قامت مونيكا جريفاهن وزيرة البيئة السابقة في سكسونيا السفلى (1998-1990) بكتابة رسالة موجهة للنشطاء المكافحين لهذا الغاز قائلة: "أشاطركم القلق خاصة حول استخدام سبائك من الألومنيوم أو الباريوم والتي تتكون من مواد سامة. ومع ذلك، على حد علمي، استخدمت فيها حتى الآن سوى نطاق محدود للغاية." وفي ديسمبر من عام 2007 ذكر تقرير إخباري في قناة آر تي إل، بأن خبراء الأرصاد الجوية الألمانية أكدوا على وجود هذه الضبوب وكانت مرتبطة بالاختبارات العسكرية التي كان هدفها التلاعب في المناخ.

وقال الدكتور منير العكش الباحث في علوم الإنسانيات في كتابه أمريكا والإبادات الجماعية، أن الإمبراطورية الأمريكية أبادت 112 مليون إنسان (بينهم 18.5 مليون هندى أبيدوا ودمرت قراهم ومدنهم) ينتمون إلى أكثر من 400 أمة وشعب على حد قوله - وخاضت أمريكا 93 حرباً جرثومية شاملة وتفصيل هذه الحروب أورده الكاتب الأمريكي هنرى دوبينز في كتابه "أرقامهم التي هزلت " في الجزء الخاص بأنواع الحروب الجرثومية التي إبيد بها الهنود الحمر بـ 41 حرباً بالجدري، و4 بالطاعون، 17 بالحصبة، و10 بالأنفلونزا، و25 بالسل والديفتيريا والتيفوس والكوليرا.

وهناك تورط مسئولون فى التدبير لمعمل تسونامى فى عدة دول منها مصر خلال المكيمتريل و المتفجير فى قاع المبحر عبر روبوت الى وباستخدام المشعاع الازرق. وكشفت اجهزة في دول عدة عن تورط مسئولين كبار فى شبكة المزلازل وادارة الازمة المعالمية فى التدبير لمحرب المناخ و المطقس التى يقوم بها مخابرات دول كبرى عبر تدبير عمل تسونامى باستخدام غاز وسحب المكيمتريل الملونة و المبيضاء والمسوداء والتى يتم رشها بكثافة على ارتفاعات منخفضة عبر طائرات صغيرة بدون طيار، بإضافة إلى رشها فوق

المبحر وتحريكها نحو مصر عبر أجهزة المتحكم فى اتجاه المرياح. وحدوث زلزال يتم من خلال أشخاص متخصصين يمضون بضعة أيام على متن يخت فى عرض المبحر من ضفادع بشرية وخلافة على أنهم مصورين أو غيره وكميات هائلة من الأجهزة والمعدات من بينها روبوت آلى مفكك للتفجير فى أعماق المبحر عن بعد، وجهاز هولوجرام أو هارب أو شعاع أزرق يستخدم فى عمل الكوارث المناخية. وأجهزة تفجير ورش كيمتريل و قنابل كهرومغناطيسية وأجهزة ليزر يتم استخدامها فى عمل كوارث مناخية عبر تسليطها على سحب المكيمتريل المكثيفة.المكيمتريل الملونة عادت تعود للظهور فجاة خاصة دورها فى الاحتباس المحرارى. وهناك علاقة للكيمتريل كيمترير الملون وآثار القنابل المكهرومغناطيسية المتى تترك شكلا فوسفوريا يشبه فروع المشجرة فى المسماء بالمتسونامى المذى يجرى الإعداد له. وللتخلص منه يجب سرعة إزالة آثار المكيمتريل من خلال المخل او بخار المخل عبر طائرات او الاستعانة باجهزة ازالة اثار المكيمتريل لمنع هذه المكارثة. تطلق الصين في كل عام آلاف الصوراريخ والقذائف المدفعية بالسماء وما أتحدث عنه هو معركة مع الطقس.

إذ تأمل الحكومة الصينية من خلال برنامج تعديل الطقس التحكم بهطول الأمطار، ويقوم هذا البرنامج بتوظيف وتدريب 32.000 – 35.000 شخص عبر الصين، بعضهم من الفلاحين، ويستخدم الأسلحة الثقيلة لإطلاق رصاصات تحتوي على **silver iodide** إلى الغيوم. لأنه يعتقد بأنها تعمل على تكثيف الرطوبة مسببة هطول الأمطار، هذه العملية تدعى ببذر الغيوم **cloud seeding** والصين تستثمره بكثرة إذ تستخدم أكثر من 12.000 بندقية مضادة للطائرات وقاذفات صواريخ بالإضافة إلى 30 طائرة.

أما أسلحة النبض الكهرومغناطيسية، فهي أسلحة الذبذبات اللاسلكية كما تمّ تقييمها مؤخراً بأنّها أحد أهم أسلحة الدمار الشامل العمليّة من الناحية التقنية، ويستطيع هذا السلاح إلحاق الضرر بالإنسان وعدد آخر من الأشياء وذلك عبر استخدام نبض كهرومغناطيسي (EMP) قوي جداً، وقد تمّ رصد وملاحظة تأثير النبض الكهرومغناطيسي خلال الاختبارات الأوليّة للتفجير الجوي للأسلحة النووية من على ارتفاعات شاهقة، لكن الأمر لم يتطلّب كثيراً من الوقت حتى أدرك العلماء فيما بعد أنّه يمكن الحصول على تأثير النبض الكهرومغناطيسي من خلال ذخائر أخرى من مصادر غير نووية في الأصل، وقد توصل الأكاديمي السوفيتي "أندري ساخاروف" إلى تصميم "قنبلة كهرومغناطيسية" غير نووية في الخمسينيات، وقد عمل من خلال تصميمه على توظيف الحقل المغناطيسي لل **solenoid** مضغوطاً بانفجار المواد الكيميائية المتفجرة لإنتاج تأثير نبض كهرومغناطيسي قوي جداً، وقد لعب فريق من العلماء الروس في روسيا بقيادة الأكاديمي "فلاديمير فورتوف" في معهد "الخصائص الحرارية للظروف القاسية"

دوراً مهماً في دراسة سلاح النبض الكهرومغناطيسي ووسائل الوقاية منه، والدراسة ركّزت على وسائل التدمير للمعدّات والتجهيزات الكهربائية أو الإلكترونية التي تشكّل بالأساس البنية التحتية للعديد من الدول، ومع أنّ الاختصاصيين لا يعتبرون سلاح النبض الكهرومغناطيسي سلاحاً قاتلاً، إلاّ أنّهم يصنّفونها ضمن الفئات الاستراتيجية التي من الممكن أن تستخدم لسحق محطّات المعلومات والاتصال وعقد النقل المعلوماتية لدى الخصم.

وكما تم عرضه في الحملة الجويّة لعاصفة الصحراء في العام 1991م، فإنّ صواريخ كروز المحمّلة برؤوس كهرومغناطيسية يمكن استعمالها بشكل فعّال لتعطيل شبكة الوظائف والبنية التحتية لمعالجة المعلومات التابعة للخصم، حيث تمّ تعطيل كل الأجهزة الإلكترونية التابعة لمركز التلفزيون العراقي بكامله في بغداد عبر مجرد قنبلة إلكترونية واحدة تمّ إلقاؤها من قبل القوّة الجويّة الأمريكية في خلال حملة 2003م.

وهناك سلاح الأوزون وهو واحد من الأسلحة الجيوفيزيائية مصّمم خصّيصاً لاستخدام عدد من الوسائل التي من شأنها تعطيل وإتلاف طبقة الأوزون في سماء العدو، ومن الممكن تحقيق ذلك عبر صواريخ تحمل "الفريون"، ويؤدي انفجار مثل هذه الصواريخ في طبقة الأوزون إلى تحقيق عدد من الثقوب فيها وتسمح هكذا للأشعة الفوق بنفسجيّة للشمس بالاختراق إلى سطح الأرض، والأشعة الفوق بنفسجيّة ضارّة جداً بتركيبة خليّة الكائنات الحيّة خاصّة فيما يتعلّق بأنظمتها الوراثيّة أيضا، كنتيجة لذلك فانّ حالات السرطان سترتفع بشكل كبير جداً ودراماتيكي كما أنّ استنزاف الأوزون سيجلب تناقصاً في درجات الحرارة بشكل أكبر وسيزيد من الرطوبة، ممّا سيشكل خطرا خاصّة على المناطق الزراعيّة غير المدعومة.

احتلال وخصخصة الدول بوعي كامل

عندما أنظر لدبي وديموغرافيتها أتذكر واقعة في الدول العربية حدثت في مصر تكاد تكون مكوناتها متطابقة مع ما جري في دبي وأدت في نهاية الأمر إلى غزو مصر واحتلالها، ذلك عندما غزت بريطانيا مصر عام 1882. إذ قال رئيس وزرائها آنئذ قلادستون إنه مضطر إلى غزو مصر لأن دزرائيلي كان قد اشتري أسهم قناة السويس، وأن عددا كبيرا من البريطانيين وبعض الفرنسيين والأوروبيين قد استثمروا أموالهم في مصر وأنهم مصممون على ألا يخسروها. ذلك بعد أن ذهب عرابي وأعلن أنه سيلغي الديون الأجنبية، شيء قريب مما قالته دبي لما امتنعت عن تسديد ديون المؤسسة، وذلك على الرغم من كون مصر حتى قبل الغزو كانت تحت الوصاية الثنائية لبريطانيا وفرنسا إذ كان بيرنق ممثل انجلترا وبلنقنيرز ممثل فرنسا هما اللذين يحركان الخديوي توفيق الذي استلم خزينة فارغة من سلفه الخديوي إسماعيل الذي قيل عنه إنه كان متلافا كالبابا ليو العاشر وقيل عنه إنه كان يصرف المال بإهمال يتضاءل معه إهمال الصرف الذي يتميز به شيوخ نفط الشرق الأوسط في القرن العشرين حتى سموه بالمليونير المفلس. وكما هبط المستثمرون الأجانب على دبي كانوا قد هبطوا كالجراد على مصر في سبعينيات القرن التاسع عشر إذ كانوا يهلكون مال إسماعيل بأسرع مما يستلفه حتى صار دين مصر القومي مائة مليون جنيه استرليني .

كان الوهم المصري هو نفس وهم دبي والتغريب والتحديث والإنجاز الاقتصادي مع الشريك المتقدم إداريا. لكن لما فشل الاستثمار جاء الشريك المتقدم بجيوشه ليحتل البلد لأنه لن يسمح بضياع أمواله. هل تبدل حال الشريك أم أنه أصبح أشد رحمة أم أنه صار أقل حرصا على ماله؟ لم يتبدل شيء من ذلك فالشريك هو الشريك وحرصه هو حرصه أخشي أن يعيد التاريخ نفسه,خاصة أن معظم سكان دبي ليسوا عرب وبالتالي يجب أن ننتبه إلى أنه يمكن استخدام حق تقرير المصير تماما مثلما حدث مع سنغافورة التي كانت عضو في الاتحاد الماليزي واستقلت. وقد نشرت صحيفة الإمارات اليوم بتاريخ 5 فبراير 2009 إحصائية مصدرها دائرة الأراضي والأملاك عن نسبة تملك الأجانب العقارات في دبي وتبين النسب المذكورة في المرفق مدي خطورة الموقف لو استمر الأجانب في الشراء والتمليك حتى سنة 2015 بالمقارنة مع نسبة المواطنين! فلو أن نسبة تملك العرب لعقارات بريطانيا وصلت إلى 5% سوف يجعل الحكومة إلى وقف التملك باعتباره يهدد الأمن القومي والاقتصادي وكذلك ألمانيا وفرنسا وباقي الدول الأروبية علما بأن إيران الهند روسيا ومعظم الدول لا تسمح للأجنبي بتملك أراضي أو عقارات! حتى في أمريكا واستراليا هناك ضوابط ضريبية وقوانين للأجانب في حال أراد التملك بالرغم من أنها بلدان أسست على الهجرة وأبادت السكان الأصليين كما هو

معروف. وبالرجوع إلى الإحصائية في المرفق نري تملك الشقق بلغ96% من نصيب الأجانب و4% للمواطنين,و تبين الإحصائية أن البريطانيون احتلوا المركز الأول – الباكستانيون الثاني –الثالث الهنود ومن ثم الإيرانيون. وتملك الفلل 94% من نصيب الأجانب و6% للمواطنين والهنود في المرتبة الأولي يليهم البريطانيون يليهم الباكستانيون وبعده الإيرانيون. وهناك الكثير من الأجانب لم يقوموا بالتسجيل منتظرين جاهزية العقارات بالنسبة إلى الأراضي يتوقع أن تزيد في السنوات القادمة لصالح الأجانب في ضوء التسهيلات الممنوحة وغياب أية ضرائب فالأرقام ستكون أكبر لصالح الأجانب ولكن النسبة ستتزايد بصورة دراماتيكية بسبب انخفاض أسعار الأراضي ومنح معظم أراضي دبي صفة مناطق حرة للتملك الحر. وجل ما أخشاه أن يحدث ما حدث في فلسطين لا قدر الله.لذلك يجب أن يكون هناك تدخل حكومي لإيقاف التملك الأجنبي حتى وإن كان من الشروط أن يكون 99 سنة فقط. فالقوانين الدولية تتغير وقد يصبح فرض على دبي بأي قانون دولي أن تكون ملك من أملاك الأجنبي لا يجب حرمانهم منه. سيصبح الأجنبي المسيطرعلى الاقتصاد أما من الناحية الاجتماعية وضعف الهوية الوطنية والتي لا يختلف إثنان على وجودها بوادرها في وقتنا هذا.

وفي عام 2006 . 2007، الخارطة الديموغرافية كانت نسبة العمالة الأجنبية في الكويت 60%. البحرين 50%. السعودية 40 إلى 50%. عمان 30%. أما في قطر فتصل إلى 85%. وتصل نسبة المهاجرين في الإمارات إلى 90 % .

وهناك اليوم قرابة سبعة ملايين آسيوي في الإمارات وحدها. تشكل نسبة الهنود 60 % من مجموع تعداد السكان، أي قرابة أربعة ملايين، مقابل 800 ألف مواطن وهناك 16 مليون آسيوي تقريبا في بلدان الخليج العربي الستة، ومن المرشح أن يصل إلى 30 مليونا في عام 2025. وإذا أخذنا الإمارات وقطر كنموذج، فسنجد أن التغيير الاجتماعي قد تم، ولا زال يتثبت يوما بعد يوم. فالثقافة الآسيوية تسود والفضاء الثقافي العربي يتراجع كثيرا. لم يبقَ من الثقافة إلا الفولكلور للسياح. وضعفت اللغة العربية، وأصبحت الرابعة أو الخامسة. وهمشت الثقافة العربية، ومزق النسيج الاجتماعي هو الآخر. تحطم عدد من ثوابت المجتمع ومناعته. ألا تمثل نسبة المواطنين، التي تتراوح بين 2 و3 و4%، أو قل حتى 10%، في بعض الإمارات سوى بقايا عرب؟ العقد القادم هو إذاً، عقد الهوية .

بعض مراكز الأبحاث الأوروبية، والفرنسية تحديدا، تتوقع ان يتم التغيير خلال العقد القادم، وتوحي بأن بعض الحكام العرب المعاصرين هم آخر حكام عرب للمنطقة. وقد وضعت فعلا السيناريوهات التي يمكن أن يتم من خلالها تحويل المسألة الديموغرافية إلى مسألة سياسية. وعناوين التغيير حاضرة. أهمها حقوق العمال والمهاجرين. وفعلا لقد

طرحت الهند ذلك في أكثر من مناسبة. فإعطاء المهاجرين حق التجنس ومن ثم فرض الديموقراطية، سيفضي حتما إلى حكم الأغلبية. إنها معادلة حسابية لا تقبل المكابرة أو الإنكار.

وإن شاءت دول كبرى وقدرت أن الوقت قد حان لاستبدال المشهد السياسي، فستجد أن الأرضية البشرية والثقافية جاهزة ومهيأة. المسألة هنا مسألة توقيت وحسابات استراتيجية دقيقة. فعندما نضجت الأمور في سنغافورة عام 1964، فصلت عن ماليزيا وسلمت للغالبية الصينية المهاجرة إليها. وهكذا الأمر في فيجي، التي يحكمها اليوم هنود جلبتهم بريطانيا للعمل فيها، وهم للمناسبة لا يشكلون إلا 50% من تعداد السكان الأصليين. أي أقل من هنود الخليج. إذا لماذا لا يستفاد من الطاقات العربية المميزة والمشتتة في كل أصقاع الأرض ؟

إيران لها طموح بعيد لإقامة أو لاستعادة الإمبراطورية المجوسية في ثوب شيعي يصل من إيران إلى بلاد خراسان وما يقارب من الحدود الهندية من الشرق مواجهات مجوسية لكن الجبهة الغربية الأوضاع فيها طي بلاد العراق لإقامة ممالك شيعية في الجنوب والوسط من الممكن وصلها بأجزاء من سوريا أو سوريا كلها نهاية إلى سهل البقاع والجنوب اللبناني ثم جنوبا الأحساء والبحرين وثم إلى العمق والوصول إلى أجزاء كبيرة من السعودية, لكن هذا لن يحدث على الإطلاق,فالوحدة الخليجية تقضي عليه وعلي غيره من المشكلات التحديات الكبري.

الغرب متوائم مع إيران ويراها أقل خطرا بكثير من الفكرالسلفي خاصة الجهادي السني الممتد من المحيط للمحيط مما يشكل عبئا على الغرب جغرافيا واقتصاديا قوة بشرية ضخمة وإمكانيات طبيعية. وقبل كل ذلك أيديولوجية مغايرة تماما لفكر الغرب. فالغرب يقدر إيران ويفضلها كحليف له في المنطقة .

والغرب لا يمانع في إيران دولة قوية لكن قوى عسكرية تقليدية وقوة اقتصادية. لكن إيران تأبي إلا الماضي التليد يوم كانت تحكم العالم وترى الطاقة النووية سلاح يغير كل الموازين ويضع إيران على مصاف الكبار, ويصعب جدا أن تتخلى إيران عن التكنولوجيا وهي امتلكتها بالفعل.

وإيران لا تعادي أمريكا أو إسرائيل لكن أمريكا في ورطة لا مفر منها. الذهب الأسود تركه كله في يد إيران أمر غير محتمل بل غير ممكن شريان الحياة الصناعية لا يمكن الاستغناء عنه. إذا ليس بينهم خلافات "عقائدية" لا أمريكا تريد تنصير الشيعة ولا إيران تريد تشييع الأمريكان. وأمريكا حروبها ليست مع إيران . لكن تقاطعت المصالح الخليج في المنتصف بين أمريكا وإيران. وما يلي لا نري حدوثه ممكن, وإنما هو في حسبان الدول المطروحة فيه فوارد أن تكون هناك حرب إيرانية

خليجية خاصة أن إيران تحتل أراضي عربية منها جزر الإمارات وشط العرب, وهنا تتدخل أمريكا بحجة حماية أمن الخليج أو البترول بشكل أوضح.

سعر البترول خراب على أمريكا ومن الجائز جدا إذا زاد التدهور في العراق و لبنان وفلسطين والشرق العربي من الممكن أن يشتعل البترول لعنان السماء ويصل لمائة وخمسين دولار وقتها ستؤمم امريكا البترول والوضع سيكون خطير وأوروبا ستستغيث بالأمريكان.

الناتو يعد خطط للتدخل خارج حدوده.فمن الممكن افتعال أزمة ثم من مجرد حماية عسكرية إلى احتلال فعلي. فلا ينقص الأمريكان الجنود ولا العتاد. ووارد تحويل ملف إيران النووي بداية لتجييش غزو أوروبي أمريكي واحتلال فعلي ظاهره الحماية من إيران أو وقف إيران وباطنه سيطرة فعلية على الأرض للبترول واحتلال الخليج. وخلال 2018 إلى 2019 سيصبح الإصلاح الاقتصادي هو الموجه لدول الثورات العربية، حيث يتم الضغط عليها من هذا الاتجاه بمنع الاستثمارات مع التسويف وعدم تلقى دول معينة أى دعم عربى إن تازم الوضع نتيجة الضربة الإسرائيلية لإيران وبذلك يتم إحاطة الجميع لخلق نظام جديد عربى فى دول الثورات العربية مشابهة للوضع السابق وتقليم أظافر دول الخليج مالياً وإعادة احتلال العراق مرة أخرى، لكن دول عربية قليلة متنبهة له, كما أن إسرائيل سترفض ذلك لأنها ستتعرض لمخاطر أكبر من المحيط بها.

تعريب البحر الأحمر والقرن الإفريقي

المداخل الشمالية للبحر الأحمر حتى النتوء الجنوبي للقرن الإفريقي ومن شمال غرب إفريقيا إلى الخليج العربي-ضمن الصراع الواسع المدي. فالصراع الدائرللسيطرة على مناطق النفوذ اقتصاديا وسياسيا وفكريا وعقائديا وعسكريا لن يهدأ رغم إيماني بإمكانية تقليل حدته, بل واستغلاله كنقطة قوة وهو الأمر الطبيعي. فلم تعد ساحة أوروبا هي مراكز الصراع كما كان في القرن الماضي فقد انتقل بعد هدوء الحرب الباردة من أوروبا إلى ساحات جديدة على خريطة العالم فدخل الشرق العربي وإفريقيا مقدمتها الملتهبة - يعود سببه الرئيسي إلينا كعرب. والثروات والمواد الخام ومصادر الطاقة والمعابر الدولية الهامة والمراكزالاستراتيجية هي التي تجذب الصراعات إلى الشرق العربي وإفريقيا فشهدت المنطقتان خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي أعنف مراحل هذا الصراع الذي تمثل في التدخلات المباشرة وغير المباشرة مثلما تمثل في الغزو العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي كما شهدت أقسى الحروب منذ انتهاء عملية فيتنام التي كانت تسحب بساط الأفضلية أحيانا. وبدأت أمريكا تعيد ترتيب خططها إلى تهيئة المسرح السياسي في الشرق العربي ونقل مركز الصراع وبؤرة التوتر من الشمال إلى الجنوب ونعني بذلك تهدئة الصراع العربي الإسرائيلي الذي يشد الكثير من الانتباه الأمريكي ويستنزف الكثير من الحرص والجهد الأمريكي أيضا لتركيز الانتباه والجهد والحرص حول حقول النفط في الجزيرة والخليج العربي وإيران، حيث يتوقع الجميع حدوث مواجهة ما محتملة بين الأمريكيين والأوربيين الذين يعضون بالنواجذ على مصادر البترول هذه وعلى طرق مروره وبين الروس الذين يقتربون رو يدا رويدا من هذه المصادر ويضيقون الخناق على معابر تدفقه إلى الغرب الأوربي الأمريكي بوجه خاص. وفي هذا الإطار فإن كل القوي الكبري ستعمل على التواجد بشكل من الأشكال بقرب مصادر الطاقة هذه سواء لحماية مصالحها المباشرة أو لتهديد مصالح القوة الأخرى المنافسة. ومن ثم يصبح الوصول إلى مرحلة الصدام المباشر احتمالا قائما إذا ما تهددت المصالح الاستراتيجية المباشرة لأي منهم.

والمد الحضاري العربي وتزاوجه الناجح في الساحل الشرقي لافريقيا تعرض منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي لجزر شديد ولأزمة حقيقية وخانقة قلصت انتشاره وإشعاعه.

كانت هذه القوى السياسية الجديدة هي الإمبراطوريات الأوروبية الناشئة والمتطلعة إلى بسط نفوذها على العالم والمتصارعة على السيطرة على طرق التجارة الدولية وعلى أحكام قبضتها بواسطة أساطيلها وجنودها على كل شبر توجد فيه ثروة .هكذا بدأ العصر الاستعماري الذي قسم العالم إلى مناطق نفوذ وكانت افريقيا وآسيا والوطن العربي

أساسا هي الكعكة التي قسمت بل شرحت إلى فطائر متناثرة رقيقة لكثرة الضعف والوهن، تلك الحالة التي مازالت سائدة فيما يسمى الآن بالعالم الثالث..آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية وفي مقدمتها الوطن العربي تلك الساحة
الهائلة من الأرض الكروية التي تضم الأغلبية الساحقة من سكان المعمورة وتضم أكثر من ٨٠ % من مواردها الخام ومصادر الطاقة بالإضافة إلى الممرات الدولية ومناطق التحكم الاستراتيجي.ومن الملاحظ في القرن الإفريقي أن ارتباطا واضحا قد حدث بين التطورات السياسية والاقتصادية التي شهدتها منطقتي القرن الإفريقي كجزء من القارة الإفريقية والوطن العربي الذي يحتل الساحة العظمى من الشرق الأوسط والأدنى. وفي بدايات عصر التنوير عندما أحس الاستعمار الأوروبي بخطورة ترك هذا التنوير الحضاري يتنامى وينضج قرر ممثلوه على الفور ضرب بؤرة الاستنارة في مصر وتكالبت القوى الاستعمارية على مصر الحديثة فمزقوا أسطولها في موقعة نافارين وقلصوا تأثيرها وحاصروها داخل حدودها الإقليمية حتى لا تعود فتلتحم بالعرب والأفارقة من جديد. وإذا كانت مصر قد انهزمت بل واحتلت فيما بعد-في عام ١٨٨٢ – فإن ظاهرة الاحتلال الأوروبي قد امتدت لتشمل تقسيم كل الوطن العربي وإفريقيا إلى مناطق نفوذ ومصادر استغلال واحتكار للثروات المادية والبشرية الهائلة فعاد عصر الإظلام من جديد يمد أستاره على العرب والأفارقة معا دون تفرقة وفي تلازم وتتابع زمني منتظم. وهذه الظاهرة الخطيرة عادة في شكل الاستعمارالجديد إلى منطقتنا متخفية هذه المرة لا وراء العسكر والأسلحة ورايات الغزو المباشر، بل بأزياء حديثة وشعارات براقة يحملها خبراء ومدربون وجواسيس وعملاء ومهنيون ورجال دين كذلك. أصبح البحر الأحمر أخطر طرق المواصلات البحرية في العالم يحمل أهم السلع الاستراتيجية بين الشرق والغرب أيضا، وتحول من مجرد بحر داخلي إلى أهم شريان ينقل البترول من مناطق الزيت في الخليج العربي وإيران وشبه الجزيرة العربية إلى أوروبا الصناعية والولايات المتحدة. وبفضل اكتشاف البترول في الخليج والجزيرة وبفعل الجوع البترولي في أوروبا وأمريكا اصبح البحر الأحمر بكل.يزاته وخصائصه الجيوبوليتيكية أخطر محاور الصراع الدولي وملتقى أهم نقاط التحكم الاستراتيجي باعتباره حامل البترول ومعبر التجارة الأساسية ومجال تدفق القوة العسكرية بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود والمحيط الأطلنطي المحيط الهندي والمحيط الهادي. وبهذه المميزات الجيوبوليتيكية ارتبط البحر الأحمر بالقرن الإفريقي جنوبا مثلما ارتبط بقناة السويس شمالا ارتباطا عضويا ومصيريا عسكريا وسياسيا واقتصاديا، فكل منهما له ميزاته الحاكمة وخصائصه المحددة حتى أصبحا معا محط أنظار المخطط السياسي والعسكري وموضع اهتمام واضعي القرار السياسي ومحور

صراعات معقدة بين القوى الدولية المتصارعة وكذلك القوى المحلية والإقليمية المتنافسة.

البحر الأحمر جسم يمتد طوليا مابين السويس في أقصى الشمال وبوابة الدموع أو باب المندب في أقصى الجنوب، وكلتاهما تمثل خانقا قابضا حاكما يحصر مياه البحر طبيعيا ويحاصره جغرافيا ويتحكم فيه حتى ليكاد يحوله إلى بحيرة مستطيلة مغلقة،وهو بهذا التحديد يتصل من ناحية الشمال بخليج السويس وخليج العقبة،كما يتصل من ناحية الجنوب بخليج عدن المفتوح على مياه المحيط الهندي، ويضم حول سواحله 11دولة، هي على الساحل الإفريقي من الشمال إلى الجنوب مصر-جنوب السودان والسودان-جيبوتي-أثيوبيا- ارتريا-الصومال، وعلى الساحل الآسيوي فلسطين المحتلة-الأردن-السعودية-اليمن.ويلاحظ هنا أن أثيوبيا ليس لها أصلا سواحل بحرية سواء على البحر الأحمر أو المحيط الهندي، فهي-تاريخيا-دولة داخلية لا تطل على الساحل، ولكنها تحت ضغط هذا الإحساس الخانق وبمساعدة الاستعمار الأوروبي نجحت في التوسع منطلقة من الهضبة الحبشية في الداخل لتحتل بالقوة العسكرية وبالمؤامرات السياسية كلا من الساحل الارتري، حيث تطل على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وساحل الصومال الغربي-اوجادين-الذي تطل منه على مياه المحيط الهندي وبذلك ركبت القرن الإفريقي، ولكن بعد استقلال ارتريا وعودة الصومال للحياة السياسية يصبح ليس لها سواحل بحرية وتعود دولة داخلية ملثما كانت في الماضي وهذا سيكون قبل عام 2040.

وفي محاولة للمقارنة فأننا نجد أن الطول الإجمالي لسواحل البحرالأحمر بما فيها سواحل خليجي السويس والعقبة يبلغ نحو ٣٠٦٩ ميلا، باعتباره مستطيلا مائيا تصل مساحته إلى ١٧٨٠٠ ميل مربع. وإذا أخذنا نقطة شمالية عند السويس ونقطة جنوبية عند باب المندب فإن الطول يبلغ ١٢٠٠ ميل .ويبلغ أقصى اتساع له حوالي ١٩٠ ميلا فيما بين مصوع على الساحل الإريتري الإفريقي وجيزان على الساحل الشرقي الآسيوي، بينما يبلغ أقل اتساعاته نحو ٤٠ ميلا فقط فيما بين عصب على الساحل الغربي والمخا على الساحل الآسيوي.

وإذا كان باب المندب هو نقطة الحصار والخنق في الجنوب، فإن مضايق تيران وجوبال هي نقاط نفس الحصار والخنق عند الشمال، حيث تنتشر الجزر والشعاب المرجانية التي تقسم مياه البحر إلى ممرات ملاحية صغيرة وضيقة تجعل الملاحة مخاطرة تحتاج إلى حسابات دقيقة لتحقيق السلامة والمرور الآمن. فمضيق جوبال الذي يقع في المدخل تماماً من خليج السويس لا يزيد عمقه عن ٣٠٠ - ٣٣٠ قدما، وتنتشر في مياهه عدة جزر أهمها شدوان وجوبال وأم قمر. وشرق جوبال يرقد مضيق تيران في مدخل خليج العقبة، ويصل عمق مياهه هناك إلى اكثر من ٣٣٠٠ قدم بينما يضيق اتساعه إلى معدل ٨ -١٠

أميال فقط وفي هذا المضيق.تنتشر كذلك عدة جزر أهمها تيران وصنافير الرابضة في مدخل المضيق بتحكم استراتيجي بالغ الأهمية.

وإذا انتقلنا جنوبا عند نقطة الحصار الأخرى فسوف نجد باب المندب بكل أساطير التاريخ القديمة حولها التي تنشر الفزع للبحارة العابرين،حيث لا يزيد اتساعه عن ٢٠ ميلا تتولى جزيرة ميون أو بريم تقسيمه بشكل يعوق الملاحة المريحة والانسيابية.فالجزيرة تقسمه إلى ممرين أحدهما بالغ الضيق وهو الممر الشرقي بعرض أقل من ميل فحسب والآخر في الغرب بعرض يصل إلى ١٦ ميل تنتشر فيه الجزر الصغيرة والشعاب المرجانية التي تزيد بالطبع من وعورة الملاحة

ورغم أن عمق هذا الممر في معظم مياهه يصل إلى ٩٩٠ قدما فإن هذا العمق في الممر الشرقي يقل حتى يصل في بعض أجزائه إلى نحو ٨٥ قدم فقط. وهكذا تبدو أهمية نقاط التحكم الاستراتيجي الشمالية عند السويس وتيران والجنوبية عند باب المندب في خنق الملاحة المدنية والعسكرية على السواء في البحر الأحمر. ولذلك دار الصراع دائما حول نقاط التحكم هذه سواء كان صراعا دوليا أو محليا .واكتسبت مناطق مثل القرن الإفريقي غربا والسواحل العربية شرقا في جنوب البحر ومضايق تيران شرقا وجوبال غربا في شمال البحر مميزات جيوبولتيكية في خريطة الصراع الدولي والمنافسة الحادة القائمة خلال هذا القرن. وكذلك على مستوى الصراع الإقليمي خاصة بين العرب وإسرائيل من ناحية وبين العرب وأثيوبيا سواء كانت متحالفة مع الغرب الأمريكي أو الأوروبي أو مع غيرهما من دول الشرق من ناحية أخرى.

ويعتبر البحر الأحمر بحرا طويل الساحل الأمر الذي يترجم جيوبوليتيكيا بالقول إن السواحل الطويلة لها قدرة طاغية على التحكم في مياه البحر وفي الملاحة فيها.ونتيجة لهذا فإن الدول المطلة على هذا البحر تحكمه في سواحله تؤدي دورا أساسيا في لعبة الصراع الدائرة حوله، وتتحكم بالتالي في هذا الشريان السياسي والعسكري والاقتصادي الذي يربط الشرق والغرب من أقصر طريق ملاحي.ولتوضيح ذلك نقول إن سواحل البحر الأحمر موزعة على الدول التي تطل عليه ونصيب كل منها يتراوح مابين ١١٢٥ ميلا للسعودية بنسبة ٣٦ % ومابين خمسة أميال للأردن بنسبة ١. ٠ %فقط .ويأتي الترتيب التنازلي بعد السعودية ليوضح أن مصر تمثل المرتبة الثانية في طول سواحلها على البحر الأحمر بطول ٨٩٨ ميلا بنسبة ٨. ٢٨ % ثم الساحل الارتري425 ميل بنسبة ٦. ١٥ % والسودان ٣٠٩ أميال بنسبة ٨. ٦ % واليمن ٢٧٥ ميلا بنسبة ٨. ٨ % ثم جيبوتي ٢٥ ميل بنسبة ٧. ٠% وفلسطين المحتلة ٧ أميال بنسبة ٢. ٠ % فقط. وهكذا فإن الأغلبية المطلقة من امتدادات سواحل هذا البحر الهام هي سواحل عربية في وضعها الراهن وكلها-تاريخيا-سواحل عربية.وإذا ما عرفنا أن إسرائيل لم يكن لها أي نقطة ساحلية على

خليج العقبة. لكنها في عام ١٩٤٨ اندفعت بكل قواها نحو مياه الخليج لتصنع لنفسها منفذا على البحر الأحمر شريان اتصالها بإفريقيا وآسيا، ولتصبح بذلك دولة ذات ساحلين واجهة بحرية على البحر الأبيض بطول يتراوح ما بين ١١٨ - ١٢٠ ميل.والساحل الآخر على البحر الأحمر بطول لا يتعدى ٧ أميال لكنه في النهاية تمثل منفذها الاستراتيجي الثابت تجاه العالم الأفروآسيوي. ونفس الوضع بالنسبة لأثيوبيا التي احتلت الساحل الإريتري والساحل الصومالي الغربي لتفتح لنفسها منفذا بحريا بكل ما يمثله ذلك من أهمية جيوبوليتكية، هي ببساطة أهمية الفرق بين دولة داخلية مغلقة محاصرة بالياس من كل اتجاه وبين دولة منفتحة على البحار والمحيطات لها سواحل تطل عبرها على العالم.

وإذا كنا قد أوضحنا آنفا أهمية السواحل في التحكم في حركة الملاحة المدنية والعسكرية في البحر الأحمر، فإن ثمة عاملا آخر له أهمية جيوبوليتكية مشابهة أو متقاربة مع أهمية التحكم في السواحل .وهو امتلاء البحر الأحمر بالجزر المتناثرة شمالا وجنوبا والتي يرقى بعضها إلى أهمية استراتيجية بالغة تعادل أهمية نقاط الخنق والحصار والتحكم الاستراتيجي تقريباً.

إن تضاريس أعماق البحر الأحمر تضاريس وعرة قاسية باعتباره أخدود غائر فيما بين اليابس الافريقي غربا واليابس الآسيوي شرقا.فقاع البحر تغطيه تلال مرتفعة يصل ارتفاع بعضها إلى مادون سطح الماء ويظهر بعضها الآخر فوق السطح على شكل جزر بعضها له سمات الجزرالتي تتكون على أعماق كبيرة من القاع إزاء تراكم الطفوح البركانية التي يبلغ منسوبها أحيانا منسوب الجبال، وهي التي تسمى بالجزر المحيطة مثل جزيرة الزبرجد بالقرب من راس باناس على الساحل المصري وجزر ذقر وحنيش الكبرى والصغرى عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر.

وهناك أيضا جزر ساحلية مفصولة عن اليابس مثل جزر بريم وشدوان وفرسان وقمران ومجموعة جزر دهلك كل ذلك بالإضافة إلى كثرة انتشار الجزرالمرجانية ذات الشعاب العتيقة التي تساعد على نمو المرجان بينها وطبقا للمراجع الدولية فإن مياه البحر الأحمر تحتوي على حوالي ٣٨٠جزيرة معروفة ومرصودة بعضها آهل بقليل من السكان ومعظمها خال مهجور تماما.وإذا كانت معظم سواحل هذا البحر تابعة لدول عربية فكذلك الأغلبية العظمى من هذه الجزر تابعة لنفس الدول العربية. و٦٧ % تقريبا من هذه الجزر تابعة للدول العربية الأمر الذي يضفي على هذه الدول أعباء مضاعفة في الاستفادة الجيوبوليتكية من هذه الجزر وفي حمايتها بالتالي من الإغارة والاحتلال والصراع الإقليمي والدولي الهادف إلى السيطرة على مواقع التحكم الاستراتيجي ومن بينها مثل هذه الجزر بالطبع كما رأينا ما فعلته أثيوبيا في احتلال بعض جزر المدخل الجنوبي

ثم استقل وما فعلته إسرائيل خلال عدوان على خليج العقبة لتأم مصالحها وحماية ملاحتها وحرمان العرب من مثل هذه الميزات. البحر الأحمر بمددخله الشمالي عند السويس وبمدخله الجنوبي عند باب المندب والقرن الافريقي ظل وسيظل يلعب دور محور الصراع والأمن والسلام في هذه المنطقة والعالم.

و بقدر ما جلبت قناة السويس الرخاء لتجارة العالم وحرية الحركة وانسيابها مابين الشرق والغرب للأساطيل الدولية المدنية والعسكرية بقدر ما جلبت المتاعب لمصر نفسها التي وقعت فريسة للمطامع الاستعمارية شأنها شأن معظم المناطق الاستراتيجية الأخرى المتحكمة في مداخل ومخارج البحر.ليس هذا فقط بل اصبح البحر الاحمر وقناة السويس ساحة صراع بين الدول الكبري وسيظل لفترة طويلة قد تمتد الب ما بعد 2050بالنسبة للقناة وعلي مدي القرن بالنسبة للبحر الأحمر.واكبر مشكلة متواجدة خلال القرون الماضية وحتي الآن ان الدول العربية لم تجهد نفسها واقعيا وعمليا لتثبت أنها بالفعل صاحبة هذا البحر.والمسيطرة على ملاحته والمالكة لكنوزه سواء تلك المغمورة في مياهه أو التي تتحكم في مجراه والتي تسمى مناطق ومراكز التحكم الاستراتيجي،بل هي على العكس من كل ذلك اختلفت اكثر ما اتفقت. الأمر الذي زاد طمع الطامع وشجع الآخرين على أن يكسروا هذا القيد الذي كان العرب يريدون فرصة على البحر باعتباره عربي داخلي وهو نفسه ما يحدث تجاه الخليج العربي.كما ان الثروات العربية تنقب عنها شركات اجنبية وهذا يجعلها تتحكم فيها وتزيد من الامر ان هذه الثروات يذهب اغلبها للغرب وفقط،مما يعرض المنطقة للصراع الدائم ومحاولات السيطرة المستميته من قبل الدول الكبري وتصارعها على الإقليم والثروات.يجب تصحيح الوضع ليصبح مصدر الطاقة والثروات ومالك الإقليم العرب وحدهم،هنا يصبحون المعادلة الأولي في العالم. هكذا تحولت الدول العربية من دول حاكمة مالكة لهذا الطريق الحيوي الهام إلى دول محكومة مملوكة لقوى أخرى خارجية مارست بذكاء لعبة الاستقطاب. فإذا ركزت أمريكا جنوبا عند القرن الأفريقي في أثيوبيا مثلا سارع السوفيت (الروس) إلى تثبيت أقدامهم شمالا عند السواحل المصرية وإذا انتقل السوفيت إلى الصومال سارع الأمريكيون بتقوية تواجدهم على الطرف المقابل.وإذا نجحت أمريكا في تغيير موازين القوى خاصة بعد خروج الخبراء السوفيت من مصر ١٩٧٢ سارع السوفيت إلى تثبيت أقدامهم في أثيوبيا بعد ثورة ١٩٧٤ وإذا قفز السوفيت إلى عدن حاول الأمريكيون الأطباق على الخليج العربي وإذا التزم السوفيت بتأييد الخط السوري والعراقي ازداد الأمريكيون تحيزا وتدعيما لإسرائيل لتستمر في دورها كهراوة غليظة تدق رأس المنطقة (يلاحظ أن اثيوبيا تحاول ان تكون اسرائيل اخري في الإقليم ووجودها واسرائيل اخطر ما في مستقبل الإقليم،فاذا فاقت اي منهما من المشكلات والمواجهات

العسكرية والمقاومة اتجهت للصراع مع دول عربية). لعبة استقطاب وتعقدت يوما بعد يوم،فهل من حل يا قادتنا؟.

وتصاعد عمليات استنزاف البترول من جانب شركات الاحتكار الغربي اصبح يشكل تهديدا مباشرا للأمن القومي العربي من ناحية كما أن النضوب النهائي لهذا البترول أو انقطاعه لفترة محدودة يشكل تهديدا للأمن القومي للدولة المستهلكة من ناحية أخرى.ولذلك فإن على منتجي البترول ومستهلكيه الاستعداد والتأهب من الآن لمواجهة حالات النضوب السريع أو الخطرالمؤقت حتى لا يقع تهديد صريح للأمن القومي لاحد الطرف يؤدي في النهاية إلى اضطرابات

اجتماعية وسياسية تعقبها تدخلات أو مصادمات عسكرية طاحنة .ولقد اطلق هارولد براون وزير الدفاع الأمريكي خلال تصاعد أزمة الطاقة في الولايات تعبيرا له مغزاه الواضح عندما قال :إن النقص الحالي في مصادر الطاقة يمثل اكبر تهديد يفرضه المستقبل على الأمن القومي الأمريكي وكذلك على أمن الدول المنتجة.

أهمية إفريقيا المستقبلية بالنسبة للولايات المتحدة والصين

في منتصف 2007 بدأت الولايات المتحدة التفكير في إنشاء قاعدة عسكرية لها في إفريقيا لكي تكون بديلة عن المقر الموجود في ألمانيا وسعت من خلال الدعاية الواسعة التي ساقتها لذلك إلى عرض حسن نواياها من حيث أنها ستكون قاعدة لخدمة شعوب القارة بدلاً من كونها لأغراض عسكرية، وحينما بدأت في البحث عن دولة تقبل بذلك وقع الاختيار على كل من نيجيريا وجنوب إفريقيا لكي تكونا مقرات مقترحة لهذه القاعدة.وقد جاءت الأسباب المعلنة من قبل وزارة الدفاع الأمريكية لإنشاء قيادة عسكرية خاصة في القارة الإفريقية على لسان مساعد وزير الدفاع لشؤون التخطيط والسياسات (رايان هنري) وتمثلت في رغبة وزارة الدفاع خلق وتنمية بيئة

مستقرة في القارة الإفريقية تشجع على إقامة مجتمعات مدنية، والعمل على تحسين ظروف مستوى المعيشة شعوب القارة. ولتبرير ذلك يبرز المسؤول الأمريكي أهمية إفريقيا الاستراتيجية، فهي القارة التي تمثل مساحتها نسبة 35% من مساحة العالم، ويبلغ عدد سكانها نسبة 25% من عدد سكان العالم، وتزداد أهميتها بصورة مطردة فضلا عن ما أعلنه (رايان) من رغبة الإدارة الأمريكية في أن تضطلع القيادة العسكرية الإفريقية الجديدة بالمساعدة في جهود نزع فتيل

النزاعات، وتأمين بيئة أمنية مستقرة تكون قادرة على هزيمة الشبكات والتنظيمات الإرهابية . وبالإضافة إلى المهام السابقة فإنه للقيادة الجديدة دورًا في تقديم" المساعدات الإنسانية "والإغاثة الطبية والغذائية للمناطق التي تعاني من نزاعات، وتنمية قدرات القوات العسكرية للدول الأفريقية وإمدادها بالمعدات وإخضاع عناصرها للدورات التدريبية اللازمة، وتقديم العون للمنظمات الإفريقية الإقليمية وفي مقدمتها الاتحاد الإفريقي. لكن الأسباب الحقيقة تبدو في إصرار الولايات المتحدة على مواجهة النفوذ الصيني المتنامي بسرعة في إفريقيا وتحجيمه اقتصاديًا وعسكريًا، ورغبة الإدارة الأمريكية في تطويق نفوذ بعض الأنظمة الإفريقية التي تعتبرها مارقة، والأهم من ذلك كله تأمين عمليات التنقيب عن النفط والمعادن في القارة الإفريقية واستقراره، في ظل تزايد الاضطرابات التي تكررت في حقول النفط في منطقة دلتا النيجر، خصوصًا في حقول نيجيريا منذ عام 2003، والتي تعتمد الولايات المتحدة بشكل كبير على نفط هذا الإقليم، في ضوء تقارير استراتيجية تتوقع أن تلبي القارة الإفريقية 25% من احتياجات الولايات المتحدة

من النفط بحلول عام 2016. لكن الرد الذي تلقته الولايات المتحدة لم يكن متوقعًا فقد رفضت الدول الإفريقية استضافة أفريكوم. والقرار الأمريكي في مجمله يعكس اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالقارة الإفريقية، وقد صيغ ذلك الاهتمام في استراتيجية

تحتاج الولايات المتحدة في تنفيذ بعض جوانبها إلى القوة العسكرية إضافة إلى الأدوات الأخرى الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والإعلامية وغيره، فالقوة العسكرية مكملة لتلك الأدوات في تنفيذ السياسة أو إنزال الخطط على أرض الواقع. وهناك مجموعة من العوامل أدت إلى الاهتمام الأمريكي بالقارة تتمثل في:

1- عامل النفط الذي اكتشف بكميات مقدرة في إفريقيا بالذات في الشواطي الغربية للقارة الإفريقية.
2- رغبة الولايات المتحدة في تقليل اعتمادها على نفط الشرق الأوسط، حيث قامت بتشجيع الشركات الأمريكية لتستثمر في مجال النفط، خاصة بعد أن شهدت بداية الألفية الثالثة معدلات نمو كبيرة في الصين شهدت بموجبها احتياجات متصاعدة للنفط، الأمر الذي دفعها إلى الانفتاح على القارة الإفريقية ومن ثم العمل على خلق مناطق للنفوذ في القارة.
3- تشير بعض المصادر إلى أنه من المتوقع بحلول العام 2014 فإن 25% من واردات الولايات المتحدة من النفط ستكون من إفريقيا.
4- من الموارد المهمة التي تذخر بها القارة الإفريقية خاصة على الصعيد المستقبلي المورد المائي، وهو مورد يحسب له ألف حساب من الناحية الاستراتيجية.
5- العمل على تحجيم الدور الصيني في إفريقيا ذلك أن التوغل الصيني في القارة الإفريقية في تصاعد مستمر، ولعل ما يميز السياسة الصينية في الوقت الحالي هو عدم وجود مشروطية اقتصادية وسياسية لعقوداتها واستثماراتها، ولا تسعى الصين لتغيير البيئة الداخلية للدول، ويلاحظ أنها تنأى بنفسها عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول التي تتعامل معها، على عكس الدول الغربية التي تربط علاقاتها مع دول الجنوب بشروط مجحفة، خاصَّة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. فالشروط الاقتصادية التي فرضت من قبل المنظومة الغربية تتمثل في سياسة السوق الحر – الخصخصة– التحرير الاقتصادي (أما الشروط السياسية فتتمثل في) الشفافية – المحاسبة- حقوق الإنسان – التحول الديمقراطي – نزاهة الانتخابات – التعددية الحزبية هذا إضافة إلى الشروط الاجتماعية مثل حقوق المرأة والطفل. فالصين توغلت في إفريقيا من غير شروط ووجدت الترحيب من قبل دول

القارة وشعوبها. ومع ذلك لابد من الإشارة إلى العلاقة بين الولايات المتحدة والصين تختلف جوهريًا عن العلاقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في فترة ما عرف بالحرب الباردة، فالعلاقة في تلك الفترة بين المعسكرين كانت صفرية بينما العلاقة الآن بين الولايات المتحدة الصين ليست صفرية، فهناك مصالح مشتركة، وبالتالي فإن

الولايات المتحدة لا تسعى لهزيمة الصين في إفريقيا وإنما تسعى لتحجيم دورها ليكون مكمل للدور الأمريكي، وقد برز ذلك جليًا حيال التعامل مع قضية دارفور.

6- أحداث11 سبتمبر التي أدت إلى تغييرات في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، حيث تم الربط بين الارهاب وحركات الإسلام السياسي، ومن هنا وضعت إفريقيا في الاهتمامات الأمريكية.

7-الفقر والتخلف يوفر بيئة صالحة لنمو الإرهاب والتطرف، وقد أخذت الولايات المتحدة تتحدث عن محاربة الفقر في إفريقيا كأحد الأدوات التي تفيد في الحد من تنامي الأفكار المتطرفة، خاصَّة لو جاءت من التيار الإسلامي. كذلك أخذت الأوساط الأمريكية تتحدث عن مفهوم الدولة الرخوة) الدولة الفاشلة أو الدولة المنهارة بمعنى أن الدولة الضعيفة غير القادرة على السيطرة على كامل إقليمها، وانتشار السلاح خارج مؤسساتها تتيح أرضية خصبة لنمو الحركات الإرهابية. كل تلك الأسباب دفعت بالولايات المتحدة إلى وضع إفريقيا في قائمة أولوياتها.فيما يتعلق بآفريكوم أشير إلى أن الولايات المتحدة قبل صدور قرار إنشاء آفريكوم كانت لها خمسة قيادات عسكرية على مستوى العالم تتمثل في القيادة العسكرية لشمال أمريكا، والقيادة العسكرية لجنوب أمريكا، إضافة ثلاثة قواعد أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية في سياق التنافس مع الاتحاد السوفيتي على مناطق النفوذ والسيطرة على العالم. وتمثلت تلك القيادات في قيادة أوروبا ويمتد نطاقها الجغرافي من السواحل الشرقية للولايات المتحدة عبر الأطلنطيمروراً بأوروبا الغربية حتى شرق أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط، ويدخل في نطاقها 95 دولة منها 41 دولة إفريقية وتضم هذه القيادة قواعد عسكرية في تركيا وأسبانيا وبريطانيا وألمانيا، وهى مدعومة بالأسطول السادس الأمريكي. وتتمثل أهداف هذه القواعد العسكرية في:

1- دعم الأمن الأوروبي.

2- دعم حلف الناتو.

3- الحفاظ على أمن أوروبا الغربية مما يسمي التهديد الروسي.

4- الحفاظ على أمن إسرائيل باعتباره يقع ضمن مسؤوليات الأسطول السادس.

القيادة الثانية تتولى الشاطئ الغربي للولايات المتحدة، ويمتد نطاقها من السواحل الغربية للولايات المتحدة الأمريكية وشمال وجنوب أمريكا وتشمل كل آسيا بما فيها الصين وأستراليا ودول جنوب شرق آسيا، ويمتد سلطاتها ومجال عملها حتى السواحل الشرقية لإفريقيا (الصومال – جيبوتي – اليمن) وهذه القيادة بقواعدها العسكرية مدعومة بالأسطول الأمريكي السابع. أما القيادة الوسطى التي كانت نواتها قوات الانتشار السريع بغية تأمين منابع النفط بعد الثورة الإسلامية في إيران، والحرب العراقية الإيرانية، وتطورت القوة فيما بعد لتصبح قيادة كاملة تشمل منطقة الشرق الأوسط بالإضافة إلى

شمال إفريقيا. وقد لعبت هذه القيادة دور كبير في حرب تحرير الكويت. وتشمل هذه القيادة إثيوبيا – اريتريا – الصومال– جيبوتي وليبيا بالإضافة إلى أغلب الدول العربية الأخرى. والولايات المتحدة منذ قيامها ورغم تغير حكوماتها، إلا أن سياستها وأهدافها في العديد من المجالات ظلت تغييراتها قليلة، يحقق فيها كل جيل ما استطاع. والاستراتيجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر تجاه إفريقيا على الآتي:

1- إمكانية بناء قواعد عسكرية في بعض الدول.

2- طرح خطة اقتصادية وتمويلية وتشجيعية للاستثمارات في إفريقيا.

3- طرح خطة سياسية لنشر الديموقراطية الأمريكية وإحداث موازنة مع النفوذ الأوروبي التقليدي والفرنسي.

4- ضم دول مثل جنوب إفريقيا وأنجولا ونيجيريا إلى قطاع الطاقة والمناجم الأمريكي.

5- السعي لإيجاد محور أمريكي إفريقي جديد يؤدي إلى تفكيك كل مؤسسات العمل الإفريقي المشترك.

6- إعادة رسم الخرائط السياسية في إفريقيا والوصول إلى مناطق الأزمات وتحديد مصائرها برؤية تتسق والمصالح الأمريكية. وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 حدث تحول كبير في السياسة الأمريكية تجاه القارة، وخاصة على مستوى العوامل الحاكمة والمحددة التي تتصل بالاعتبارات الاستراتيجية ذات الطابع الأمني والعسكري والعوامل المتصلة بتأمين الطاقة، أو الأمن القومي المتعلقة بالطاقة. وبدأت السلطات الأمريكية في فحص الدول الإفريقية من حيث الإرهاب وطلبت من الدول الإفريقية العديد من المطالب أهمها:

1- المشاركة الكاملة في التحالف ضد الإرهاب.

2- التعاون مع الاستخبارات الأمريكية.

3- تشديد أنظمة أمن الحدود وفرض الرقابة على كل المنافذ.

4- التعاون في القبض على الإرهابيين وتسليمهم للولايات المتحدة.

5- وضع بعض القيادات الأصولية التي لها نوايا عدوانية ضد الولايات المتحدة موضع الملاحظة الاستخبارية لمراقبتها. والأهمية الجيوبولتيكية لإفريقيا:

1- تشرف إفريقيا على ممرات ومضايق (بوابات) مائية هامة.

2- تعتبر إفريقيا مع غرب أوروبا منطقة استراتيجية واحدة ومسرحًا تكتيكيًا لا يفصل بينهما سوى البحرالمتوسط Eurafrica أور إفريقي.

3- تطل إفريقيا على المحيط الهندي الذي يلعب دورًا متزايدًا في اقتصاد الدول النامية في جنوب آسيا وشرق إفريقيا.

4- تشاطي إفريقيا غربًا المحيط الأطلسي الذي يربط موانئ أوروبا بموانئ أمريكا الشمالية والجنوبية.
5- يعتبر الطرف الجنوبي للقارة نقطة وثوب من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، بل والى دول أمريكا اللاتينية، وهذا يؤثر على الصراع البحري بين القوى الكبرى في أي صدام مستقبلي.
6- تعتبر القارة أخطر مسارح الصراع بين الدول الكبرى.

وتعود أسباب اهتمام الولايات المتحدة بإفريقيا للآتي:

•وجود مجتمع قوي من الزنوج بأمريكا وتأثير ذلك على مجريات الحياة السياسية.
•أهمية تصويت الدول الإفريقية في الأمم المتحدة والتي تمثل ثلث الأعضاء في المنظمات متعددة الأطراف.

وجود المواد الخام الضرورية للاقتصاد الأمريكي، خاصة النفط كمسالة أمن قومي.

• الرغبة في مكافحة الإرهاب والإيدز، الصراعات المسلحة الخ
• وجود معابر تجارية وموانئ بحرية هامة على المحيطين الهندي والأطلسي.
• الجانب الأمني إذ يعد هذا المجال من أبرز ملامح السياسة الأمريكية الجديدة تجاه أفريقيا.

وهناك أسباب جوهرية وراء الاهتمام الأمريكي بالنفط في إفريقيا ويمكن حصر هذه الأسباب فيما يلي:

1- السعي لوضع يدها على مخزون القارة السوداء من النفط وبأسعار مخفضة لقرب مواقع الإنتاج من الساحل الشرقي للولايات المتحدة.
2- السعي لتنويع مصادرها من النفط مستقبلا.
3-السعي للتحكم في الاقتصاد العالمي واقتصاديات الدول المنافسة إلى جانب سيطرتها العسكرية.وتنقسم مراحل التنافس الدولي على إفريقيا إلي:

المرحلة الأولى :هي مرحلة التنافس الأوروبي (مرحلة تقاسم إفريقيا) وكانت أهم سماتها تجارة العبيد والبعثات التبشيرية، وهي العملية التي أطلق عليها في نهاية القرن التاسع عشر اسم" التكالب الاستعماري على إفريقيا".

المرحلة الثانية : هى مرحلة التنافس الدولي بعد الحرب الباردة (جدلية الهيمنة والتهميش) وكانت أهم سماتها تكالبت القوى الكبرى مرة أخرى على مناطق الثروة والنفوذ في القارة الأفريقية.

المرحلة الثالثة : هي بعد أحداث 11سبتمبر 2001 وباتت إفريقيا تشكل أهمية محورية في التفكير الاستراتيجي الأمريكي الجديد. حيث اتبعت الولايات المتحدة سياسة جديدة تجاه إفريقيا اعتمدت على المرتكزات التالية:

1- التركيز على مناطق إقليمية معينة.

2-اختيار دولة أو أكثر تمارس دور القيادة مثل جنوب إفريقيا في الجنوب ونيجيريا والسنغال في الغرب وإثيوبيا في الشرق.

3- طرح قضايا معينة مثل الإرهاب والتطرف، وتدفق المخدرات، والجريمة الدولية، وحماية البيئة، وحقوق المرأة الإفريقية، وغيرها ووضعها على قائمة السياسة الإفريقية للولايات المتحدة.

4- المحافظة على الأمن والاستقرار عن طريق إنشاء قوة إفريقية لمواجهة الأزمات.

5- العمل على محاصرة النظم غير الموالية والتي تدعم التطرف والإرهاب من وجهة النظر الأمريكية.

6- تأمين وتعزيز فرص الاستثمار والتجارة في المنطقة، وهو ما يؤكد عليه مبدأ (التجارة بدلا من المساعدات). والقارة الإفريقية بأكملها باستثناء دولة واحدة هى مصر أصبحت من 30 سبتمبر عام 2008 تحت قيادة عسكرية أمريكية واحدة، هى القيادة الإفريقية أو وتدار مؤقتًا من. Africa Command كاختصار لعبارة AFRICOM "أفريكوم وهى قاعدة عسكرية أمريكية في مدينة شتوتجارت الألمانية .وكان الكونجرس قد

خصص من قبل ميزانية يبلغ حجمها 500 مليون دولار لمدة ست سنوات لتمويل مبادرة مكافحة الإرهاب عبر الصحراء الإفريقية بتقديم مساعدات لدول مثل الجزائر وتشاد ومالي وموريتانيا والنيجر والسنغال ونيجيريا والمغرب لمواجهة أي تهديدات محتملة من تنظيم القاعدة. كما حرصت وزارة الدفاع على توقيع عدد من المعاهدات الأمنية والعسكرية مع دول في مختلف أرجاء القارة، فضلاً عن اتخاذ دولة جيبوتي مقر لقاعدة عسكرية إستراتيجية .وسوف يتم الاستفادة عند تشكيل القيادة العسكرية الجديدة من كافة هذه المبادرات والاتفاقيات والقواعد

كأساس يبنى عليه القاعدة الإفريقية،وستحاول امريكا نقل افريكوم من ألمانيا لافريقيا وستوسع من قدراتها في القارة لتصبح من اهم مسارح الصراع العالمي خلال القرن.وهذا لا يرجع لقوة امريكا وانما لاخفاق دول القارة ودول كبرى،لكن الصين ومصر وغيرهما ستحاول اللحاق في التواجد بشكل كبير في القارة.

وتنتشر القواعد العسكرية الأميركية في 130 بلدًا حول العالم تقريبًا، ويزيد عددها عن الألف وفق بعض المصادر العسكرية، وتتروح مهماتها بين القيام بالعمليات العسكرية والتدريب المشترك مع قوات الدول المتواجدة بها والمشاركة في عمليات حفظ السلام، كما سعت أمريكا إلى عقد الاتفاقات الأمنية مع العديد من الدول حول العالم . واستخدمت تلك القواعد في فرض الأمن والقيام بعمليات كل هذا يرجع إلى كونه من أربعة عناصر أساسية في استراتيجية الولايات المتحدة للسيطرة على العالم وهي:

1-السيطرة على الاقتصاد العالمي والأسواق المالية، ووضع اليد على جميع مصادر الثروة الطبيعية من مواد اولية ومصادر الطاقة التي تعتبرعوامل حساسة لنمو ثرواتها ونفوذها وذلك عبر فعاليات الشركات متعددة الجنسيات.

2-الوصاية على 191 حكومة هي اعضاء في منظمة الأمم المتحدة.

3-الغزو والاحتلال ومراقبة هذه العناصر بواسطة شبكة من القواعد العسكرية المنتشرة في كل أركان الكرة الأرضية في القارات والمحيطات والجو والفضاءات.